حادثة قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية (١٨٣٩-١٨٤١م)

دكتور

مُحمَّد عبد العال مُحمَّد علي

مدرس التَّاريخ الحديث والمعاصر

قسم التَّاريخ، كليَّة الآداب، جامعة الوادي الجديد

البريد الأكاديمي Mabdelaal@art.nvu.edu.eg

مُلَخَّصٌ

تناول البحث موضوع حادثة قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية في منتصف عام (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) وهو حدثٌ تاريخيٌّ مُهِمٌّ في تاريخ المسألة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي بصورة خاصَّة والمسألة الشرقيَّة بصورة عامَّة. وسعى البحث إلى الوقوف على تفسيرٍ لدوافع قدوم الأسطول إلى الإسكندرية بقيادة القبودان أحمد فوزي باشا، وخطة خروجه من مضيق الدَّرْدنيل إلى جزيرة رودس، والمُلابسات التي صاحبت ذلك، وناقش كيفية تواصل القبودان مع مُحمَّد علي، وإقناعه قادة الأسطول للتَّعاون مع والي مصر، وعَرَضَ مظاهر الاحتفالات التي استقبل بها مُحمَّد علي الأسطول العثماني وقادته في الإسكندرية، وموقف القناصل الأوروبيين من قدوم الأسطول، وطرق استغلال مُحمَّد علي الأسطول العثماني لتحقيق مطالبه، وناقش موقف القوى الكبرى الأوروبية من هذه الحادثة مع التَّرْكيز على موقف بريطانيا وخططها المقترحة لاسترداد الأسطول وإعادته إلى السُلطان، وتطرَّق إلى أوضاع الأسطول العثماني في الإسكندرية والمشكلات التي ظهرت مع طول فترة وجوده، وشرح الطريقة التي تمَّت بها إعادة الأسطول العثماني إلى إسطنبول عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م)، وعَرَضَ مصير قادة الأسطول الذين رفض السُلطان العفو عنهم ووُجّهت لهم تُهمة الخيانة العظمى، واختتم البحث بأهم النَّتائج.

Abstract

The research addressed the incident of the Ottoman fleet's arrival in Alexandria in mid-1255 AH /1839 AD, an important event in the history of the Egyptian question during the reign of Mohammad Ali in particular, and the Eastern Question in general. The research sought to interpret the motivations for the fleet's arrival in Alexandria under the command of Kapudan Ahmed Fawzi Pasha, the plan for its departure from the Dardanelles Strait to Rhodes Island, and the circumstances that accompanied it. It discussed how Kapudan communicated with Mohammad Ali, convincing the fleet's commanders to cooperate with the Governor of Egypt. It presented the celebrations that Mohammad Ali hosted to welcome the Ottoman fleet and its commanders in Alexandria, the stance of European consuls on the fleet's arrival, and how Mohammad Ali exploited the Ottoman fleet to achieve his demands. The research also discussed the position of major European powers on this incident, with a focus on Britain's proposed plans to reclaim the fleet and return it to the Sultan. It touched on the conditions of the Ottoman fleet in Alexandria and the problems that arose during its prolonged stay. It explained how the Ottoman fleet was returned to Istanbul in 1256 AH /1841 AD, and presented the fate of the fleet's commanders, who were accused of high treason and were denied pardon by the Sultan. The research concluded with the most important findings.

مُقَدِّمَةٌ

شهدت مدينة الإسكندرية منتصف عام (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) قدوم الأسطول العثماني بقيادة القبودان أحمد فوزي باشا، وهو حدثٌ تاريخيٌّ مُهِمٌّ في تاريخ المسألة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي بصورة خاصَّة والمسألة الشرقيَّة بصورة عامَّة، وكان انضمام الأسطول العثماني إلى والي مصر بمثابة ضربة قاضية تلقَّتها الدَّوْلة العُثمانيَّة عقب هزيمة جيشها في موقعة نزيب، ثم وفاة السُّلطان محمود الثاني، وهكذا في حُدود أيَّام مَعْدُودات فقدت الدَّوْلة العُثمانيَّة جيشها، وسلطانها، وأسطولها. تعقَّد الوضع على الصعيدين السياسي والعسكري بين الباشا والسلطان، وترتَّب على ذلك تفاقُم المسألة الشرقيَّة وتدخُّل القوى الكبرى الأوروبيَّة، التي أعدَّت هذا الحدث إخلالًا لمبدأ توازن القوى ***Balance of Power*** وبدأت القوى الأوروبيَّة تسعى إلى الوصول إلى حلٍّ للخروج من هذه الأزمة، وبدأت اجتماعاتها لتضع الخطط لإقناع مُحمَّد عليّ أو إجباره على إعادة الأسطول العثماني إلى السُّلطان.

أهميَّة البحث تكمن في مُحاولة الوصول إلى الحلقة المفقودة في تفاصيل هذه الحادثة التَّاريخيَّة المُهِمَّة، وتفسير مُلابساتها، وإعادة تركيبها؛ لأنَّ مُعظم الدراسات في هذا الباب اهتمَّت بذكر وصول الأسطول العثماني بصورةٍ عَرَضيَّة لتُمهد لموضوع آخر، أو على هامش الأزمة بين مُحمَّد علي وخسرو باشا والتَّدخُّل الأوروبي في المسألة الشَّرقيَّة، ولم تتطرَّق إلى وضع الأسطول العثماني، رغم أنَّه كان مُحرِّكًا رئيسًا ومهمًّا للأحداث التالية ووقائعها، ولذلك فهي تكشف عن حادثة تاريخيَّة أهملت دراستها في سياق هذه المرحلة من تاريخ مصر الحديث.

وتتجلَّى إشكاليَّة البحث في مُحاولة الإجابة عن عدَّة تساؤلات، وهي: ما أسباب انضمام أحمد فوزي بالأسطول العثماني إلى مُحمَّد علي؟ ومتى ظهرت فكرة تعاونه مع مُحمَّد علي؟ وكيفية خروجه بالأسطول من الدَّرْدنيل حتى قدومه إلى الإسكندرية؟ وهل كان قدومه بتخطيطٍ مُسبق أم فرضته ظروف مُستجدَّة؟ وهل اتخذ القرار مُنفردًا أم شاركه بعض القادة؟ وكيف استقبل مُحمَّد علي الأسطول وقادته؟ وما موقف بعض مستشاري مُحمَّد علي من قبوله الأسطول؟ وما النتائج التي ترتَّبت على

انضمام أحمد فوزي بالأسطول إلى مُحمَّد علي؟ وكيف استغلَّ مُحمَّد علي وجود الأسطول العثماني في تحقيق بعض مطالبه؟ وما موقف القوى الكبرى الأوروبية من هذه الحادثة، وما وضع الأسطول العثماني في الإسكندرية طوال عام ونصف؟ وكيف أعاد مُحمَّد علي الأسطول العثماني إلى الدَّولة؟ وما المصير الذي آل إليه بعض كِبار قادة الأسطول العثماني بعد رَدِّه؟

اعتمد البحث على مجموعةٍ من الوثائق غير المنشورة، وهي الوثائق التركيَّة العُثمانيَّة المحفوظة في أرشيف مجلس الوزراء بإسطنبول، مثل: تصنيف إرادة مصر الممتازة (***I. MTZ***)، وإرادة داخلية (***I. DH***)، وتصنيف طوبقبوسراي (***TS. MA. E***)

وأمَّا الوثائق المنشورة، فهي مُتنوعة، وأهمُّها وثائق الأرشيف البريطاني، وقد نشرتها الحكومة البريطانية عام ١٨٤١م في مُجلَّدين في أعقاب انتهاء أزمة الشَّرق بعنوان: ***Correspondence Relative to the Affairs of the Levant*** المُراسلات المُتعلِّقة بشئون بلاد الشام، اعتمد الباحث على المُجلَّد الأوَّل الذي يشمل تقارير ومراسلات القنصل البريطاني العام في الإسكندرية، والسَّفير البريطاني في إسطنبول فيما بينهما، ومع وزارة الخارجية في لندن، بالإضافة إلى بعض قرارات الحكومة البريطانية بخصوص المسألة المصريَّة، فضلًا عن تقارير بعض السُّفراء الأوروبيين.

ومن الوثائق المنشورة أيضًا وثائق الأرشيف الفرنسي، نشرها إدوارد دريو ***Édouard Driault*** في ثلاثة مُجلَّدات بعنوان: ***L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841*** مصر وأوروبا وأزمة (١٨٣٩-١٨٤١م)، تمَّ الاعتماد على الجزء الأوَّل منها، وهو يحوي مُراسلات القنصليات الفرنسيَّة وقرارات الحكومة بخصوص الأزمة. والوثائق المصريَّة، المنشورة تحت عنوان: المحفوظات المَلَكِيَّة المصريَّة لجامعها أ. د أسد رُسْتم، وكذلك الأوامر والمُكاتبات الصَّادرة من مُحمَّد علي. هذا بالإضافة إلى بعض المصادر المعاصرة للأحداث باللُّغات العربيَّة، والتركيَّة العُثمانيَّة، والإنجليزيَّة، والفرنسيَّة، فضلًا عن المراجع والأبحاث المُتخصّصة.

أولًا- أسباب قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية.

في أواخر سنة (١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م) أرسل والي مصر مُحمَّد علي (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م) جيوشه فاحتلَّت الشَّام وأجزاء من الأناضول، عندئذٍ أعلن السُّلطان محمود الثَّاني (١٢٢٢-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) عصيان مُحمَّد علي لخروجه على سيّده، ومنذ هذا الوقت بدأت المسألة المصريَّة تأخذ حيزًا مُهِمًّا في سياسة القوى الأوروبيَّة الكبرى، لأنَّهم عَدُّوها جزءًا من المسألة الشرقيَّة نفسها، وقد انتهت حرب الشَّام الأولى بين السُّلطان والباشا بتوقيع اتفاق كوتاهية عام (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م)، التي تمَّت برعاية فرنسية، وأقرّ بمقتضاها ولاية مُحمَّد علي لِمَا تحت يديه من مناطق وهي ولايات: مصر، الشَّام، شبه الجزيرة العربيَّة، وجزيرة كريت[١].

ولم يضع اتفاق كوتاهية حدًّا للصراع بين السُّلطان ومُحمَّد علي، فكلاهما عَدَّها مُجرَّد هُدنة؛ فالسُّلطان محمود الثاني كان يتحين الفرصة التي يسترد فيها ما انتزعه منه والي مصر الطموح في الشَّام والأناضول، بينما كان مُحمَّد علي يسعى إلى الحصول على اعترافٍ من السُّلطان بأحقيته بالحكم الوراثي في المناطق الواقعة تحت يده؛ ولذلك تبودلت السَّفارات فيما بينهما ولم تصل إلى نتيجة ترضي الطَّرفين[٢].

وتدهورت فجأة العَلاقات بين محمود الثاني ومُحمَّد علي، وبدت السَّماء مُلبَّدة بغيوم حربٍ واقعة بينهما، فصدرت الأوامر في (٢٧ ربيع الأول ١٢٥٥هـ/ ٩ يونية ١٨٣٩م) لناظر البحرية أحمد فوزي قبودان باشي بالإبحار بالأسطول العثماني من البسفور والرُّسو في الدَّرْدنيل في انتظار الأوامر التي تصله عند الحاجة للإبحار إلى

---

[١] شناسي آلتونداغ، **عصيان مُحمَّد علي باشا: المسألة المصريَّة ١٨٣١-١٨٤١م**، ترجمهُ عن التركية: مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد (القاهرة: نماء للبحوث والدِّراسات، ط ١، ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م): ٩١-١٩٢.

[٢] أحمد فؤاد متولي، **الخطة العسكريَّة التي وضعتها الدَّوْلة العثمانيَّة لاسترداد مصر من قبضة محمد علي: تقرير مخطوط بالتركية**، (القاهرة: دارُ الزَّهراء للنَّشر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م): ٨ وما بعدها؛ علي عفيفي علي غازي، **الصِّراع المصري العثماني والتَّوازن الدُّولي في ثلاثينيات القرن التَّاسع عشر** (دبي: قنديل للطباعة والنَّشر، ط ١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م): ٩٥ وما بعدها.

ساحل الشَّام، لتقديم المساعدة للقوَّات البرية بقيادة حافظ باشا، ولكن الحرب تأجَّجت نارها بين الجيشين العثماني والمصري، وسرعان ما انتهت بتلقي الجيش العثماني هزيمةً ساحقةً في موقعة نزيب (١٢ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٢٤ يونية ١٨٣٩م)، وبدا التفوُّق المصري مسيطرًا على المنطقة بأسرها[١].

في أعقاب الهزيمة بأيَّام مات السُّلطان محمود الثاني، واعتلى ابنه عبد المجيد الأوَّل (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩-١٨٦١م)، وهو في السَّادسة عشرة من عمره، فأسْند الصَّدارة العظمي إلى خسرو باشا، فازداد الوضع سوءًا؛ لأنَّه كان على خلافٍ كبيرٍ مع بعض القيادات الموجودة من عهد السُّلطان السَّابق، فقام بتغييرات واسعة في الوزارات، مِمَّا أورثه عداوة بعض القادة وبخاصَّة البعيدين عن الآستانة، ومنهم أحمد فوزي باشا، قائد الأسطول العثماني، الذي رفض العودة بالأسطول إلى إسطنبول، وأبحر إلى الإسكندرية للتَّعاون مع والي مصر مُحمَّد علي[٢]، وعندئذٍ وقعت الحادثة التي شغلت القوى الأوروبية الكبرى نحو سنتين.

هذا الوضع الكارثي في الدَّوْلة العثمانيَّة، وصَّفه أحد السَّاسة الأوربيين بقوله: في نحو ثلاثة أسابيع تعرَّضت الدَّوْلة لضربةٍ قصمت ظهرها، وفقدت جيشها، وسُلطانها، وأُسْطولها[٣]، وصار مُحمَّد علي سيِّد الموقف دون مُنازع.

بعد أن قُلِّد خسرو باشا الصَّدارة العظمى، أرسل إلى فوزي باشا يأمره بالعودة بالأسطول، وفي خِضَم ذلك اختمرت في رأس القبودان فكرة التَّعاون مع مُحمَّد علي والانضمام إليه. وقد تباينت آراء المؤرِّخين في تفسير دوافع إقباله على هذا العمل.

---

[١] عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **من انتصارات الجيش المصري معركة نصيبين (نزيب) ربيع الثَّاني ١٢٥٥هـ/ يونيو ١٨٣٩م: دراسات في وثائق عابدين** (القاهرة: عَيْن للدراسات والبحوث الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

[٢] أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه عثمانيه**، جلد سادس (در سعادت: محمود بك مطبعه سي، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م): ٣١-٣٢، ٥١-٥٢.

[3] ***M, GUIZOT, MÉMOIRES POUR SERVIR A L'HISTOIRE DE MON TEMPS, TOME QUATRIÈME (BALE ET GENÈVE, H. GEORG,*** 1861***):*** 342-343.

حيث يرى بعض المؤرخين أنَّ ذلك يرجع إلى خِلافات قديمة بين أحمد فوزي باشا ومُحمَّد خسرو باشا؛ ولذلك رفض الأوَّل العودة بالأسطول إلى إسطنبول؛ لأنَّ مصيره سيكون محتومًا بالعزل أو القتل(١).

بينما يرى فريق آخر أنَّ خسرو باشا أراد عزل فوزي باشا من نظارة البحرية وقيادة الأسطول، وتعيين آخر بدلًا منه(٢)، فأرسل مندوبه محسن أفندي ومعه فرمانان: أحدهما بإبقاء الأوَّل، والآخر بتعيين الثَّاني حتَّى يتمكَّن من القبض على فوزي باشا دون إثارة أيَّة اضطرابات، ووصل محسن أفندي إلى الأسطول، فأخطأ في إخراج الفرمانات، وتكشَّفت مكيدته، وعلم القبودان بالمُؤامرة التي تُحاك ضده؛ وقرَّر عدم العودة بالأسطول إلى الآستانة(٣).

ويتَّجه فريق ثالث إلى أنَّ فوزي باشا كان يرى أحقّيته بتولي الصَّدارة العظمى بدلًا من مُحمَّد خسرو باشا والإقامة في الباب العالي(٤)؛ لأنَّه من أشدّ المُخلصين للسُّلطان الرَّاحل محمود الثَّاني، بينما كان خسرو من المغضوب عليهم منه.

ويرجع فريق آخر مسلكه هذا إلى تأخُّر مُرتَّبات العسكر، وقطع بعضها؛ ولذلك قرَّر التَّعاون مع مُحمَّد علي(٥).

---

(١) كامل باشا، **تاريخ سياسئ دولت عليَّة عُثمانيَّة**، جلد ثالث (إستانبول: مطبعة أحمد إحسان، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م): ١٨٠؛ سليمان أبو العز، **إبراهيم باشا في سوريا** (بيروت: المطبعة العلميَّة، ط ١، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م): ٢٤٨-٢٤٩؛ هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد مُحمَّد علي مؤسّس مصر الحديثة**، تعريب: أحمد مُحمَّد عبد الخالق، وعلي أحمد شكري (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م): ١٩٦-١٩٧.

(2) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, Deux Années de l'Histoire d'Orient 1839-1840, tome. II (Paris: Delloye, Libraire -Éditeur,*** 1840***):*** 154**.**

(٣) مصطفى نوري باشا، **نتايج الوقوعات**، جلد رابع (إستانبول: دار الطباعة العامرة، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م): ٩٣-٩٤؛ إسماعيل سرهنك، **حقائق الأخبار عن دول البِحار**، ج. ٢ (مصر: المطبعة الأميرية ببولاق، ط ١، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م): ٢٤٨.

(٤) رِزق الله مَنقريوس الصَّدفي، **تاريخُ دول الإسلام**، ج. ٣ (القاهرة: مطبعة دارُ الهلال، ط ١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م): ٣٢١.

بينما ما ذكره أحمد فوزي باشا بنفسه لاتخاذ قراره هذا، أنَّه قد وصلته أخبار من إسطنبول بسيطرة خسرو باشا على مقاليد الأُمور، بعد تخلُّصه من السُّلطان محمود الثاني بدسّ السمّ له، وعلى إثر ذلك قام بمذابح للأُمراء المعارضين له، وخَنَقَ شيخ الإسلام، وعَزم على تسليم البلاد لروسيا، وإذا رجع بالأسطول العثماني فقد يتعرَّض للوقوع في قبضتهم، ومن ناحية أخرى رغبة القبودان في حقن دماء المسلمين بإيقاف الحرب بين الدَّوْلة ووالي مصر، ولمَّا كان على عِلْم بالعداوة بين خسرو ومُحمَّد علي، فأيقن أنَّ الحرب ستكون طويلة الأمد؛ ولذلك رأى عدم العودة إلى إسطنبول، والاتصال بالباشا في مصر، للتَّعاون معًا في إسقاط خسرو، وإعادة الشَّرعية للسُّلطان الشاب[١].

ورغم وجود آراء عِدَّة، فإنها اتفقت في خطوط عريضةٍ، واختلفت في تفاصيلها، ونلمس فيها خطًّا واضحًا، أنَّ المحرّك الرئيس فيها العداء القائم بين القبودان أحمد فوزي باشا والصَّدر الأعظم خسرو باشا، وخشية الأوَّل من الأخير أن يكون مصيره العزل أو القتل، أو غيرته منه في رؤية أحقيته بتولي منصب الصَّدارة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الشَّائعات أدَّت دورها في تأجيج فساد البَيْن، ويتجلَّى ذلك في الأخبار التي وصلت من إسطنبول إلى فوزي باشا، إبَّان قبوعه في الدَّرْدنيل؛

---

[٥] ميخائيل شاروبيم، **الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث**، ج. ٤ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م): ٩٦.

[1] ***L'Amiral Lalande à Son Excellence Monsieur le Ministre de la Marine et des Colonies, à Paris,*** 10 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Correspondance des consuls de France et instructions du gouvernement recueillies et publiées avec une notice bibliographique, une introduction et des commentaires historiques. Tome premier. Nézib, le destin de l'Empire ottoman, avril-octobre 1839 (Le Caire : Société royale de géographie d'Egypte,*** 1930***):*** 136-141.

ويُنْظَرُ: **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٥٠، من مُحمَّد علي إلى قبودان أحمد باشا، بتاريخ (٢٧ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ١٠ يوليو ١٨٣٩م). أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة: بيان بوثائق الشَّام وما يساعد على فَهْمها ويُوضِّح مقاصد مُحمَّد علي الكبير**، مج. ٤ (بيروت: المطبعة الأميركيَّة، ط ١، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م): ١٢٧.

كان بعضها صحيحًا والآخر منحولًا، وبخاصَّة فيما يتعلَّق بالمذابح التي اقترفت ضد بعض الأمراء، وخنق شيخ الإسلام، وتسليم الأسطول إلى الروس.

والواقع إنَّ ما ذكر عن إقامة مذابح ضد الأمراء العثمانيين تهويل واضح، فلم يُعدم إلَّا عدد قليلٌ جدًّا، وبخاصَّة من الجانب الذي يقف ضد حركة الإصلاح[١]. وأمَّا ما أُشِيع عن خنق شيخ الإسلام فقد كان مُنافيًا للحقيقة، حيث ظلَّ شيخ الإسلام مصطفى عاصم أفندي مكي زادة[٢] في منصبه حتى وفاته عام (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م).

وأمَّا تسليم الأسطول إلى روسيا، فالرَّاجح أن خسرو ما كان ليقترف ذلك الجرم، ولعلَّ ما يُدْحض هذا الزَّعم أنَّ رغبته كانت تنطوي على منع أي احتكاك بين الأسطولين العثماني والمصري[٣]، ومن ناحية أخرى يُبرهن لمُحمَّد علي بأدِلَّة فعلية وقاطعة جنوحه إلى السَّلم وترك الحرب، وهذا ما أكَّد عليه في رسالته إلى الباشا التي أرسلها قبل معرفته بما وقع في أمر الأسطول العثماني[٤]، وسيأتي ذكر البعثة مُفصَّلًا.

ثانيًا- خُطة الخروج من الدَّرْدَنيل إلى جزيرة رُودس.

لمَّا رأى عثمان بك ريالة (القائد الثاني في الأسطول) حالة الارتباك التي يعاني منها القبودان فوزي باشا، تدخَّل ونصح له أنَّه من المُمكن أن ينال النَّجاة بنفسه وأسطوله في حالة واحدة، وهي التَّعاون مع مُحمَّد علي غريم خسرو باشا القديم[٥]،

---

(1) ***L'Amiral Lalande à Son Excellence Monsieur le Ministre de la Marine et des Colonies, à Paris,*** 10 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, Tome I :***141.

(٢) مصطفى عاصم أفندي مكي زادة: تولَّى مشيخة الإسلام ثلاث مرَّات الأولى (١٢٣٣- ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨-١٨١٩م)، والثانية (١٢٣٩-١٢٤١هـ/ ١٨٢٣-١٨٢٥م)، والأخيرة (١٢٤٨-١٢٦٢هـ/ ١٨٣٣-١٨٤٦م)، وقد ظلَّ في مشيخة الإسلام حتَّى وفاته في عام (١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م). يُنْظَرُ: مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني ياخود تذكرهٔ مشاهير عثمانيه**، ج. ٣ (إستانبول: دار الطباعه العامره، أولنمشدر، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م): ٢٨٣.

(3) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 127.

(٤) أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه**، مج. ٦: ٤٠-٤١.

(٥) كامل باشا، **تاريخ سياسئ**، مج. ٣: ١٨٠-١٨١؛ جميل خانكي، **تاريخ البحرية المصرية** (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م): ٣١١-٣١٢.

وسوف ينل مكانة، وعرض عليه أن يتولَّى أمر هذه المهمَّة. واقتنع فوزي باشا بهذا الاقتراح، ورأى أنَّ مُحمَّد علي هو محور الأحداث في الدَّوْلة العثمانيَّة، وهو الشَّخص الوحيد الذي من الممكن أن يقف بجانبه ضد ما يحدث في إسطنبول، ويتحدا معًا بقوتهما لإسقاط مغتصبي السُّلطة خسرو وأعوانه.

على أيَّة حال، فقد وصلت أنباء التغييرات التي وقعت في إسطنبول إلى فوزي باشا في صباح يوم (٢٢ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٤ يوليو ١٨٣٩م)، والأسطول راسيًا في الدَّرْدنيل، وبعد أن عزم على عدم العودة، ولكي يتمكَّن من الخروج بالأسطول من الدَّرْدنيل كان لا بُدَّ من وضع خُطة مُحْكَمَة يتم فيها إقناع الأطراف المعنية كافَّة بالأمر – حتَّى لا تُعَطِّل هذه المسيرة – عن طريق التَّضْليل والمكِيدة، وترابطت الظُّروف بعضها ببعضٍ وساعدت على تنفيذها، حتى إنَّ العوائق التي كانت تظهر فجأة كان يتم تجاوزها بسهولة، وكأنَّ الرجل يُساق إلى قَدَره، ويتعجَّل إلى مصيره.

بدأت الخطة بإقامة الاحتفالات، وأرسل فوزي باشا يعلن خُضوعه وعُبوديته إلى السُّلطان، ورَفَعَ تهنئة إلى الصَّدر الأعظم خسرو باشا بمنصبه الجديد، وأعلمه عن عزمه العودة بالأسطول، ليُصرف الأنظار عنه[١]. وبعدها قام باستدعاء كِبار القادة في اجتماعٍ خاص، وأطلعهم على تدهور الأوضاع في إسطنبول، وشرح لهم رغبته في التعاون مع مُحمَّد علي خوفًا على الأسطول من خسرو باشا؛ وبعد تداول طويل في الأمر اقتنع القادة برأي قائدهم، ووافقوه عليه[٢].

كان في صحبة الأسطول ضابط بحري بريطانيّ يعمل مُستشارًا في الأسطول العثماني، يُدعى الكابتن بالدوين ولكر ***Baldwin Walker***، وقد تمَّ استدعائه، وأبلغه فوزي باشا أنَّ السُّلطان مات مسمومًا، وكُل ذلك بمكيدة من خسرو باشا الذي يتعاون

---

[١] إسماعيل سرهنك، **حقائق الأخبار**، ج. ٢: ٢٤٨.

[2] ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 156.

مع روسيا، وأخبره أنَّه نتيجة لهذا التدهور فسوف يبحر خارج الدَّرْدنيل حتَّى يكون قادرًا على التَّعاون مع بريطانيا وفرنسا، فوافق الكابتن على رأي القبودان[١].

أقلع الأسطول جنوبًا حتَّى وصل إلى مَرفأ جنق قلعة فأقام بها، ثُمَّ أبحر إلى جزيرة تينيدوس Tenedos وعلى مَقربة منها التقى بالأسطول الفرنسي في (٢٣ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٥ يوليو ١٨٣٩م)، فقام عثمان بك (القائد الثاني في الأسطول) بزيارة الأميرال جوليان لالاند Julien Lalande قائد الأسطول الفرنسي الذي كان يُرافقه الأمير فرنسوا دي جوينفيل François de Joinville، وأخبرهما أنَّ الوضع أصبح كارثيًّا في إسطنبول، فقد مات السُّلطان محمود مسمومًا بتدبيرٍ من خسرو باشا وخليل باشا، وكلاهما يَسعى إلى تسليم البلاد إلى روسيا، وشيخ الإسلام مات مخنوقًا، وقُتِل العديد من الأمراء[٢].

وطلب عثمان بك ريالة منهما مُرافقته إلى سفينة القبودان فوزي باشا، وهناك اجتمعوا في غُرفة مُغلقة، وأخبرهما فوزي باشا أنَّه لا يبغي العودة إلى إسطنبول، حتَّى لا يتم تسليم الأسطول إلى روسيا، وأبدى رغبته في حقن دِماء المسلمين بالتوصَّل إلى اتفاق مع مُحمَّد علي؛ لأنَّ وجود خسرو باشا لن يؤدي إلَّا استمرار حمامات الدماء، نظرًا لعداوته الشديدة مع مُحمَّد علي؛ ولذلك سوف يُبحر بالأسطول العثماني إلى كريت حتَّى يتوصَّل إلى اتفاق مع مُحمَّد علي لوقف الحرب، وطلب من لالاند أن يُرافقه إلى كريت، ولكن لالاند أخبره أنَّ الإبحار إلى كريت يعني تسليم الأسطول للباشا، فتدخَّل عثمان بك ليرفع الحرج عن سيّده، فقال: إنَّ فوزي باشا سوف يذهب إلى رودس أو مرمريس، حتَّى يتمكَّن من التواصل مع مُحمَّد علي، ويكون على مقربة منه؛ لاتخاذ الخطوات اللازمة للتعاون معًا لِمَا فيه الصَّالح للدَّوْلة[٣].

---

(1) ***Andrew Archibald Paton, A History of the Egyptian Revolution: From the Period of the Mamelukes to the death of Mohammed Ali, vol II (London: Trübner & Co.,*** 1863***):*** 137-138.

(2) ***Prince de Joinville, Memoirs of the Prince de Joinville, Translated from the French By. Lady Mary Loyd (London : William Heinemann,*** 1895***):*** 131-133.

(3) ***L'Amiral Lalande à Son Excellence Monsieur le Ministre de la Marine et des Colonies, à Paris, Iéna, rade d'Ourlac,*** 10 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 136-141.

وعقب ذلك اجتماع فوزي باشا بالكابتن ووكر مرَّة أخرى، وأطلعه على عزمه الإبحار إلى جزيرة رودس، وأنَّه أبلغ الأميرال الفرنسي بذلك؛ فوافق ورحَّب بهذه الخُطة لإنقاذ الأسطول، وأراد ولكر أن يبعث برسالةٍ بهذه المُستجدَّات إلى فيكونت جون بونسونبي Viscount Ponsonby السَّفير البريطاني في إسطنبول، فأخبره فوزي باشا أنَّ الأميرال لالاند وعده بإبلاغه بكُلّ تفاصيل التطوُّرات الرَّاهنة(١).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحكومة البريطانية وجَّهت أصابع الاتهام إلى لالاند؛ لأنَّ فوزي باشا لا يستطيع أن يخرج بالأسطول ويتعاون مع مُحمَّد علي إلَّا إذا لقي دعمًا من مكان آخر(٢)، وتلك إشارة صريحة إلى الأميرال لالاند؛ لأنَّه لم يمنعه من التَّفكير في الموضوع، بل أخبره أنَّه مُهِمَّته تقتصر على مُراقبته، ومنع الاحتكاك بينه وبين الأسطول المصري، وليس لديه أوامر للتَّدخل أو استعمال القوَّة.

ومِمَّا سبق يتَّضح أنَّ أحمد فوزي باشا اتَّخذ طريقه الذي أقبل عليه بِناءً على المعلومات التي وصلته من إسطنبول، بجانب عداوته مع خسرو باشا، بالإضافة إلى أنه خشي التدخُّل الروسي، لأنَّه طبقًا لمعاهدة خُنْكار إسكله سي Hünkâr İskelesi (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، كان من حق السُّفن الروسية المرور من مضيقيْ البوسفور والدَّرْدنيل وقتما أرادت(٣)، ومن الممكن أن يتم الاستيلاء على الأسطول العثماني من

---

(1) ***Captain Walker to Viscount Ponsonby, Therapia,*** 4 ***August*** 1839***. Correspondence Relative to the Affairs of the Levant, vol.*** 1 ***(London: Printed by T. R. Harrison, St. Martin's Lane,*** 1841***):*** 424-426.

(2) ***Viscount Ponsonby to Colonel Campbell, Therapia, July*** 7, 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 250-251.

يدافع القانوني البريطاني جون هاي John Hay عن لالاند في هذه القضية، فيذكر أنَّه التقى بالأميرال لالاند في باريس عام (١٨٤٤م)، وأخبره أنَّه لم يكن مُتواطئًا مع أحمد فوزي لتسليم الأسطول العثماني إلى مُحمَّد علي، وطلب منه أن يبلغ ذلك إلى جون بونسونبي إذا التقى به في بريطانيا، ولمَّا قصَّ هاي الأمر على بونسونبي أيَّد قول لالاند، واعتذر عن اتهامه بهذه التُّهمة حينما وقعت. يُنْظَرُ:

John Drummond Hay, A Memoir of Sir John Drummond Hay: Sometime Minister at the Court Morocco Based on his Journals and Correspondence (London: Horace Hart, Printer to the University of Oxford, 1896***):*** 60-63.

(٣) مُحمَّد فريد، **تاريخ الدَّوْلة العلِيَّة العثمانيَّة**، تحقيق: إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م): ٤٥١، ٤٧٥-٤٧٦.

قِبلهم. ومن ناحية أخرى يرغب في حقن الدماء – على حد قوله – بوقف الحرب مع مُحمَّد علي، لأنَّه رأى أنَّه لن يحدث بين خسرو باشا ومُحمَّد عليّ ما يُبَشّر بحسن الأحوال، نتيجة للعداء المعروف بينهما، ولا ريب أن القبودان باشي كان على معرفة تامة بجذور هذا الخلاف. وأراد بالذهاب إلى جزيرة رودس أن يكون واقفًا في المنتصف، فيبعد عن خسرو باشا من ناحية، ويكون على مقربة من مُحمَّد علي من ناحية أخرى حتَّى يتمكَّن من التَّفاوض معه للوصول إلى اتفاق لتعاونهما.

ثالثًا– الاتصال بين القبودان أحمد فوزي ومُحَّمد علي

ومهما كان الأمر، ففي يوم (٢٤ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٦ يوليو ١٨٣٩م) انفصل عن الأسطول شريف آغا كَتْخُدَا القبودان، وأُذِيع – كما ذكر الكابتن ولكر في تقريرهِ – أنَّه ذاهب إلى لقاء حافظ باشا قائد الجيش في حملة الشَّام الأخيرة[١]، والواقع أنَّ وجهته كانت إلى الإسكندرية التي وصلها في (٢٧ ربيع الآخر/ ٩ يوليو)، والتقى مُحمَّد علي، وعَرَضَ عليه التَّعاون لإزاحة خسرو باشا، وأن يكون هو الوصي على السُّلطان؛ لأنَّه الأجدر بإدارة الدَّوْلة العثمانيَّة وإنقاذها من عثرتها[٢]، وطلب منه إيفاد مَن يثق به للتَّداول ووضع خطة للعمل المشترك[٣] للإطاحة بالصَّدر الأعظم.

ولا ريب أنَّ مُحمَّد علي كان فرحًا بهذه الأخبار وتملَّكه السُّرور، وتأكد أنَّ نجم سعده قد تسلَّط، وجاء ردّه على القبودان سريعًا في رسالةٍ مؤرَّخة بذات يوم قدوم شريف آغا، وأرسل يعده بتنفيذ المطلوب، فأخبر القبودان أنَّ هذا الأمر في غاية الأهمية، ولا يمكن أن يتم مُناقشته عبر الرَّسائل، وينبغي عليه أن يأتي إليه ويلتقيا وجهًا لوجه حتى يتناقشا في الأمور المُقترحة[٤]، وأرسل مُحمَّد علي مع شريف آغا الباخرة النيل[٥] لتبليغ

---

(1) ***Captain Walker to Ponsonby, Therapia,*** 4 ***August*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 424-426.

(2) ***Campbell to Palmerston, Alexandria,*** 11 ***July*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 226-227.

(٣) إميل خوري وعادل إسماعيل، **السِّياسة الدُّوليَّة في الشَّرق العربي**، ج. ٢ (بيروت: مطبعة صادر، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م): ١٦٥.

(٤) **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٥٠، مُحمَّد علي إلى قبودان أحمد باشا، بتاريخ (٢٧ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ٩ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكية**، مج. ٤: ١٢٧.

القبودان باشا بالأمر ثُمَّ ترجع مرَّة أخرى في صحبة الأسطول العثماني إلى ميناء الإسكندرية[١].

وهكذا أراد مُحمَّد علي أن يُحقق مكسبًا آخر، هو استقدام الأسطول العثماني إلى الإسكندرية، ولعلَّ في ذلك ما يوضح أنَّ أحمد فوزي لم يكن قراره منذ بداية تحركه من الدَّرْدنيل الاتجاه صوب الإسكندرية، بل رغبة في أن يكون بموقعٍ قريبٍ من مُحمَّد علي؛ حتَّى يسهل التَّواصل معه والتَّعاون لإنقاذ الدولة، ولكن الباشا استطاع أن يخدعه ويستدرجه إليه وأسطوله، وحُجَّته أن يلتقيا لمناقشة الأمر بطريقة جادة. وأمر هذا الخداع نجد صداه عند شاروبيم الذي يقول: "خَدَعَه مُحمَّد علي باشا واستماله وعاقده"[٢]. ويبدو أنَّ ردَّ الباشا في ذات يوم وصول شريف آغا فيه دلالة على رغبتهِ في إتمام الأمر في أسرع وقتٍ ممكن، قبل أن تتدخَّل القوى الأوروبيَّة وتقف حائلًا أمامه، أو أن يقع ما يَفُت في عزيمة فوزي باشا، ويعزف عن القدوم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مسألة خِداع مُحمَّد علي واستدراجه أحمد فوزي تقودنا إلى الحديث في مسألة أُخرى تتعلَّق بالدَّوْر الذي أدَّاه عثمان بك ريالة القائد الثَّاني في الأُسطول، ووالده شريف آغا كَتْخُدَا القبودان، منذ بداية الأزمة؛ فالأوَّل هو الذي اقترح على فوزي باشا التَّعاون مع مُحمَّد علي – كما ذُكِرَ آنفًا – والآخر هو الذي أُرْسِلَ إلى مُحمَّد علي، ورجع بجواب الباشا لاستدراج القبودان بالأسطول إلى الإسكندريَّة.

---

(٥) **الباخرة النيل:** سفينة بخارية من نوع فرقاطة، تحمل اثنين وخمسين بحَّارة، وستة مدافع، أنشئت في إنجلترا، ونزلت البحر عام (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، وكانت تستخدم في نقل البريد بين الثُّغور المصريَّة والعثمانيَّة. يُنْظَرُ: عمر طوسون، **صفحة من تاريخ مصر في عهد مُحمَّد علي: الجيش المصري البري والبحري** (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة ط ١، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م): ١٠٦، ١١٦، ٢٠٥.

(1) ***Colonel Campbell to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 11 ***July*** 1839**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1**:** 226-227**.**

(٢) ميخائيل شاروبيم، **الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث**، ج. ٤: ٩٦.

وهنا تُثار عدَّة تساؤلات لماذا نصح عثمان بك أحمد فوزي باشا بالتعاون مع مُحمَّد علي على وجه التحديد؟ هل هناك صلة أو معرفة مُسبقة كانت تربطه بالباشا جعلته يعمل لصالحه؟ وهل كان والده شريف آغا ضالعًا معه في استدراج القبودان بالأسطول العثماني إلى الإسكندرية؟

إنَّ الإجابة عن ذلك تكشَّفت من جملة عابرة في إحدى مُراسلات كامبل ***Campbell*** القنصل البريطاني في الإسكندريَّة إلى بالمرستون وزير خارجية بريطانيا؛ عندما تطرَّق إلى وصول شريف آغا كَتْخُدا القبودان إلى الإسكندرية، ذكر أنَّ ابنه عثمان بك ريالة، كان في القاهرة مُؤخَّرًا[١].

وكان الباب العالي قد أرسله في مُهِمَّة إلى مصر التي وصلها في (٤ ذو الحجة ١٢٥٤هـ/ ١٧ فبراير ١٨٣٩م)، وأرسل عبَّاس باشا إلى مُحمَّد علي – وكان في السُّودان[٢] – يعلمه بنبأ وصوله، والاحتفال به، وكان من المُقرَّر أن يظل إلى اليوم الرَّابع عقب العيد، ولكن طالت مدته؛ لأنَّ مُحمَّد علي كان خارج مصر ولن يرجع قبل عشرين يومًا[٣]، وأنعم عليه الباشا ببعض العطايا، الأمر الذي دفع عبَّاس باشا ليرسل إلى جدّه يُخبره أنَّه لا يرى مُبَرِّرًا لإعطاء النُّقود إلى عثمان بك ريالة[٤]، والرَّاجح أنَّه منذ ذلك التَّاريخ نجح مُحمَّد علي في استمالته إليه واستقطابه؛ وأصبح بمنزلة العين التي يُبصر بها، والأُذُن التي يسمع بها كُلّ ما يدور بإسطنبول.

---

(1) ***Colonel Campbell to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 11 ***July*** 1839**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1**:** 226-227**.**

(٢) قام الباشا برحلةٍ إلى السُّودان استغرقت خمسة أشهر. للمزيد يُنْظَرُ: حسن أحمد إبراهيم، **رحلة مُحمَّد علي باشا إلى السَّودان ١٥ أكتوبر ١٨٣٨-١٤ مارس ١٨٣٩م: التقرير الرَّسمي** (الخُرطوم: دارُ آريثيريا للنَّشر والتَّوزيع، ط ٣، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م): ٩ وما بعدها.

(٣) **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ٦٢، من عبَّاس باشا إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (٤ ذو الحجة ١٢٥٤هـ/ ١٧ فبراير ١٨٣٩م)؛ وكذا رَقْم ٦٣، بتاريخ (٥ ذو الحجة ١٢٥٤هـ/ ١٧ فبراير ١٨٣٩م)؛ نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكيَّة**، ج. ٣: ٤٧٦.

(٤) **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ٧٥، من عبَّاس باشا إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (١٨ ذو الحجة ١٢٥٤هـ/ ٣ مارس ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكيَّة**، ج. ٣: ٤٨٢.

والواضح أنَّ عثمان بك ريالة كان يتحيَّن الوقت المناسب ليثبت ولاءَه إلى مُحمَّد علي، فلمَّا أتته الفُرصة عمل على استغلالها والانتفاع بها، وتجلَّى ذلك منذ وقوع الأزمة بمشورته على أحمد فوزي الاتصال بمُحمَّد علي، ثُمَّ دوره المحوري أثناء الاجتماع مع الأميرال لالاند، فقد تولَّى الرَّدّ نيابة عن القبودان في نقاشه مع الأميرال، حتَّى لا يقع أمر خلاف مُراده، فكان سريعَ البداهة، حاضرًا بالإجابة، فنجده يتدخَّل ليُطمئن الأميرال بأنَّ الأسطول لن يذهب إلى كريت – كما ذكر فوزي باشا – بل إلى رودس أو مرمريس؛ وعلَّل مسلكه هذا كي يصبح على مقربةٍ للتَّواصل مع مُحمَّد علي لإيقاف الحرب، وحتَّى يكون قريبًا – أيضًا – من الشَّام ليتواصل مع حافظ باشا قائد الجيش العثماني، ليتم الاتفاق معه للتعاون مع مُحمَّد علي؛ ويتقدموا برًّا وبحرًا إلى إسطنبول للإطاحة بنظام خسرو باشا وأعوانه، وإنقاذ السُّلطان والدَّولة من الوقوع في قبضة الروس. ولمَّا نجح عثمان بك فيما يصبو إليه، ووصل الأسطول بسلامٍ إلى جزيرة رودس، بدأ دور والده شريف آغا، لإتمام هذه المؤامرة التي دبَّراها معًا.

وهكذا يتَّضح أنَّ الابن وأباه أدَّيا دورًا مشبوهًا في عملية إقناع القبودان بالتَّعاون مع مُحمَّد علي، ثم استدراجه بالأسطول إلى الإسكندرية، وزيَّن كُلّ منهما لفوزي باشا عمله، وأوقعاه في شَرَكَ مُحمَّد علي.

كان من الممكن أن يرفض القبودان القدوم إلى الإسكندرية، ولكن الباشا كان على يقين أن رَجُلَيْه – كما أقنعا أحمد فوزي باشا بالتَّعاون معه – سوف يُقنعاه أيضًا بالاتجاه بالأسطول العثماني إلى الإسكندرية، ويتوجا عملهما على أكمل وجه ويُكللاه بالنجاح. وقد كان.

رابعًا– موقف القناصل الأوربيين بالإسكندرية من قدوم الأسطول.

في صباح يوم (٢٨ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ١٠ يوليو ١٨٣٩م) وصل إلى الإسكندرية عاكف باشا[١]، قادمًا من إسطنبول، يحمل رسالة من خسرو باشا إلى مُحمَّد علي يعلمه بالعفو السُّلطاني، وأن تصبح مصر ولاية وراثية في أسرته، ويطلب

[١] عبد الرَّحمن شرف، **تاريخ مصاحبه لرى** (إستانبول، مطبعه عامره، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م): ١٣.

منه نسيان الماضي، وبَدْءَ صفحة جديدة[١]، وقد قام الباشا بتعميم هذا النبأ إلى جهات دولته كافَّة، والاحتفال لمُدَّة ثلاثة أيَّام بإطلاق المدفعيَّة ثلاث دفعات، وأن يُنَبَّه على الخُطباء في المساجد بالدُّعاء للسُّلطان عبد المجيد الأوَّل، وأمر الباشا الكَتْخُدَا بضرورة تسجيل صورة الفرمان في المحاكم ومحكمة مصر، وقراءته في الديوان بالقاهرة[٢].

وسعى مُحمَّد علي إلى إظهار حُسن نيَّته؛ فأرسل إلى ابنه إبراهيم باشا يُعلمه بما استجدّ من الأُمور ووصول عاكف أفندي، ويطلب منه إيقاف الأعمال الحربيَّة، وينسحب إلى الضَّفة الغربيَّة للفرات، وأن يُقيم الاحتفالات في الشَّام ابتهاجًا بتولي السُّلطان عبد المجيد الأوَّل[٣]، ومن ناحية أُخرى عمد الباشا على تأخير ردّه إلى الصَّدر الأعظم؛ وذلك لكسب الوقت، فقد كان مُنتظرًا ما تُسفر عنه الأيَّام في أمر قدوم الأسطول العثماني[٤]؛ لأنَّ ردّه سوف يختلف إلى حدٍّ كبيرٍ.

وفي اليوم ذاته اجتمع مُحمَّد علي بالقناصل الأوربيين الذين تطاير إليهم أمر قدوم شريف آغا، كَتْخُدَا فوزي باشا، وكانوا يُريدون معرفة ما عزم عليه الباشا، فأخبرهم أنَّه لن يقبل الأسطول وسوف يُعيده إلى السُّلطان، وإذا رغب فوزي باشا في توسيطه

---

(١) أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه**، مج. ٦: ٤٠-٤٢؛ كامل باشا، **تاريخ سياسئ**، مج. ٣: ١٨٤، ويُنْظَرُ نَصُّ رسالة الصَّدر الأعظم خسرو باشا إلى مُحمَّد علي كاملًا باللُّغة الفرنسيَّة في:
The Grand Vizier to Mehemet Ali Pasha, 5 ***July*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 235-236

(٢) منشور إلى عموم الجهات بتاريخ (٢٨ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ١٠ يوليو ١٨٣٩م)، وأمر من مُحمَّد علي إلى كَتْخُدَا باشا بتاريخ (غُرَّة جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٢ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: **الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر مُحمَّد علي**، ج. ٢، تحقيق: عماد أبو غازي وآخرين، إشراف: رءُوف عبَّاس حامد (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م): ٣٤١؛ ويُنْظَرُ: أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٤٩٨.

(٣) **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٥٢، من مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، بتاريخ (٢٨ ربيع الآخر ١٢٥٥هـ/ ١٠ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٢٨.

(4) ***M. Cochelet à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Président du Conseil, Ministre des Af- faires Étrangères., Alexandrie, le*** 15 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 150-152***.***

للصُّلح بينه وبين خسرو باشا، فإنَّه سيبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك، وإذا فشل فسوف يستضيفه عنده، ويرحل الأسطول بدونه، وطمأنهم أنَّه ليس لديه رغبة في أن يكون وصيًّا على السُّلطان الشاب، ولا يُريد تغيير وضعه آنذاك بعيدًا عن ولاية مصر(١)، ولكن هل كان الباشا صادقًا في وعوده؟ هذا ما ستكشف عنه الأيَّام القابلة.

في هذا الوقت كان فوزي باشا في غاية القلق، نتيجة تأخُّر عودة شريف آغا من الإسكندرية، وقد حاول أن يشغل قوَّاته بعمل بعض المُناورات الحربيَّة(٢)، ويبدو أنَّه تملَّكته الهواجس، وكثر شكوكه، وتغشَّاه التشاؤم، إذا رفض الباشا التعاون معه، وما سيلقاه بعد ذلك، ولكن سرعان ما تبدَّد سوء ظنِّه بعدما رأى في الأفق صباح (غُرَّة جمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٢ يوليو ١٨٣٩م) سفينة شريف آغا يُصاحبها «الباخرة النيل» وأخبره أنَّ الباشا يرغب في وضع الأسطول المصري تحت إمرته، ولكن قبل القيام بذلك، يرغب في التَّشاور معه حول أفضل الخطوات التي يجب اتخاذها لإنقاذ الدَّوْلة مِمَّا حلَّ بها، وبعد ظهر اليوم المذكور، بدأ الأسطول في الإبحار جنوبًا، وكان للسُّرعة التي سار بها سببٌ في ترك بعض القطع البحريَّة التي لم تتمكَّن من مُسايرة الأسطول(٣).

وفي السَّاعة الخامسة عند غروب يوم الأحد (٣ جُمادى الأولى/ ١٤ يوليو) ظهرت في الأُفق طلائع سفن الأسطول العثماني لِمَن يقيم بالإسكندريَّة، وكان يبعد عنها بنحو ثلاثة عشر كيلو مترًا، وصار النَّاس في ذهولٍ مِمَّا يرونه(٤)، رُبَّما لظنهم أنَّ معركة حامية الوطيس ستقع بين الأسطولين العثماني والمصري.

لمَّا انتشرت هذه الأخبار في الإسكندريَّة؛ توجَّه قناصل الدُّول الكُبرى (بريطانيا، فرنسا، النمسا، روسيا) إلى مُحمَّد علي ليطلعوا على نيته في التعامل مع الأمر، وتوجيه النُّصْح له في عدم الانغماس في أي تدبير يؤدي إلى تفاقم الأمور،

(1) ***Campbell to Palmerston, Alexandria,*** 11 ***July*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1: 226-227.
(2) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 153.
(3) ***Captain Walker to Viscount Ponsonby, Therapia,*** 4 ***August*** 1839.
(4) ***Andrew Paton, A History of the Egyptian Revolution, vol. II:*** 140.

وأبدوا رغبتهم في الوصول إلى حلٍّ سلمي للمسألة، وأضافوا أنَّ الاتهامات التي أذاعها أحمد فوزي باشا ضد خسرو باشا وخليل باشا بشأن قيامهما بتسميم السُّلطان لا أساس لها من الصحة، وتتعارض مع إفادات الأطباء الذين عالجوه، وأنَّ السُّلطان عبد المجيد أظهر حسن نيته في الفرمان المرسل مع عاكف أفندي، وهُنا تحدَّث الباشا وأوضح أنَّه لم يعد في حالة حرب مع السُّلطان، لكِنَّه في حالة حرب مع وزرائه، وبخاصَّة خسرو باشا، عدوَّه اللدود الذي تولَّى الصدارة العظمى، ولن يطمئن ببقائه في منصبه(١).

وأبلغ مُحمَّد علي القناصل بضرورة إبلاغ سفراءهم في إسطنبول بما عَزم عليه، وأنَّه سوف يُرسل خطابًا بصحبة عاكف أفندي إلى السُّلطان يعلن خضوعه وتبعيَّته، وتهنئته بتوليه العرش، كما سيرسل خطابًا آخر إلى خسرو باشا فحواه أنَّ السُّلطان محمود قدَّم له من قبل مُقترحًا أكثر فائدة، فقد عَرَضَ عليه حكم مصر وصيدا وطرابلس بالوراثة، ولذلك ففي ظلّ الظُّروف الموجودة طلب أن تؤول إليه مصر، والشَّام، وكريت؛ أي كُلّ ما يملكه، وأنَّه في حالة تنفيذ مطالبه فسوف يصبح أكثر التَّابعين طاعة وإخلاصًا للدَّوْلة، وسوف يُدافع عنها متى شاءت وضدَّ مَن تريد(٢).

وتطرَّق مُحمَّد علي لموضوع الأسطول العثماني في لقائه مع قناصل الدُّول الكبرى، فقد أخبرهم أنَّه لا ينوي الاستيلاء على الأسطول، أو استخدامه في عمل عدائي ضد السُّلطان، وأنَّه عقب قبول الدَّوْلة لطلباته، وعزل خسرو من الصَّدارة العظمي، ففي هذه الحال سوف يُعيد سفن الأسطول العثماني كافَّة إلى إسطنبول، وعند أوَّل دعوة من السُّلطان فإنَّه سوف يذهب إليه بمفرده على متن باخرة بمفرد وليس بصحبة الأسطول؛ ليعلن خُضوعه وتبعيَّته، ويُقَدِّم له كُلّ الخدمات التي يريدها، وخَتَمَ الباشا حديثه مع القناصل في حالة عدم قبول طلباته من الدَّوْلة، فإنَّه لن لم يشن الحرب عليها، لكنَّه سوف يُحافظ على موقفه القائم(٣).

---

(1) ***Résumé succinct de deux entretiens qui ont eu lieu entre le pacha d'Égypte et les Consuls généraux des quatre grandes Cours, Alexandrie, le** 16 **juillet** 1839. **Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de** 1839-1841. **Tome I:** 154-159.*

(٢) ***Ibid.***

(٣) ***Ibid.***

خامسًا- مظاهر الاحتفال بقدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية.

لأهمية الحدث أصدر مُحمَّد علي أوامره إلى كَتْخُدَا عبَّاس باشا ليُنظم احتفالًا بمناسبةِ قدوم أحمد فوزي باشا بالأسطول العثماني، على أن يتم استقباله استقبالًا فخمًا، ويُخصَّص له قصرًا يسكنه بالإسكندريَّة فترة إقامته فيها[١].

في السَّاعة التَّاسعة صباح الاثنين (٤ جُمادى الأولى/ ١٥ يوليو)، كان مُحمَّد علي واقفًا في شُرْفة قصره يتابع حركة الأسطول، وقد انفصلت «الباخرة النيل» عن الأسطول واتَّجهت نحو الميناء الغربي، وعلى متنها أحمد فوزي باشا، فأصدر الباشا أمره بخروج قاربه الخاص، ويكون على متنه حسين باشا، حتَّى يقوم باستقبال القبودان، وفي أثناء استقلاله القارب، قامت «الباخرة النيل» بإطلاق تسعة عشر طلقة تحيَّة له، وعند صعوده إلى الميناء تكرَّرت التَّحية من مدفعيَّة الحصون بإطلاق القذائف احتفالًا بوصوله، وكان في استقباله كِبار ضباط البحريَّة المصريَّة، ورجال الحامية، والموظفين المدنيين، وامتطى أحمد فوزي جوادًا خاصًا بالباشا، واتَّجه نحو قصره. وقد اصطف على جانبي الطَّريق مجموعة من القواسين والعساكر، واستمرَّ في سيره حتَّى وصل إلى القصر، فخرج مُحمَّد علي لاستقباله، وعندما رآه القبودان خلع سيفه وأعطاه إلى حبيب أفندي، وانحنى برأسه أمام الباشا، فرفعه وعانقه، وقال له: **«أهلًا بك يا أخي»**[٢].

كان من الحتمي أن يلتقي الأسطولان العثماني والمصري في موقعة حامية الوطيس، ولكن شاء الله أن يجتمعا دون حرب، وينضمَّا معًا في تجمُّع واحد، وقد اجتذب الاحتفال بوصول الأسطول فضول الأوروبيين والأهالي الموجودين، ووقفوا

---

[١] أمر من مُحمَّد علي إلى كتخدا باشا، بتاريخ (٤ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٥ يوليو ١٨٣٩م)، **الأوامر والمكاتبات**، ج. ٢: ٣٤٢؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢ (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م): ٤٩٧؛

[2] ***Campbell to Ponsonby, Alexandria,*** 16 ***July*** 1839**. *C.R.A.L, vol.*** 1**:** 257-258**.**

يطالعون الأمر عن باهتمام واضح، وقد تبسَّم مُحمَّد علي ضاحكًا من هذا المشهد، وقال: **«إنَّهم على حقٍّ؛ لأنَّهم يرون شيئًا، لا يُرى كُلَّ يومٍ»**[١].

دخل القبودان والباشا وكِبار رجاله إلى القصر، وهنُاك قُدِّمت القهوة والغليون، وقد أخبره القبودان أنَّه منذ فترة طويلة يتمنَّى أن يسعد بشرف رؤيته، وقد تجاذبا أطراف الحديث، ثم قام مُحمَّد علي بالإشارة بيده لجميع الحضور ليأذن لهم بالانصراف[٢]، وحينئذٍ سار شريف آغا كَتْخُدَا القبودان – وكان ما يزال بالدَّاخل – إلى الباشا وقبَّل قدميه، وقال: **«والآن طالما اجتمعتما معًا، أطلب الإذن لي بالتَّقاعد»**؛ مِمَّا يعني أنَّه أنجز مُهِمَّته وأدَّى واجبه، وقعد الباشا والقبودان سويًّا نحو ساعة، وبعدها خرج فوزي باشا إلى قصر الضِّيافة الذي خُصّص لإقامته، وقد نزل بصحبة عشرة من البحَّارة الأسطول العثماني؛ اثنان منهم برتبة كولونيل (عقيد)، كما حصل على إذن بنزول الأميرال ونائبه، وقد استضاف في مجلسه الخاص بعض كِبار رجال الباشا، وقد أبدى لهم مدى إعجابه ورغبته بلقاء مُحمَّد علي منذ زمن طويل، فقال لهم: «الحمد لله، لقد تحقَّقت أمنياتي بلقائه»[٣].

في ذلك الوقت كان مُحمَّد علي يجتمع بقناصل الدُّول الأربع الكبرى، والواضح أنَّه بعد أن اطمأنت نفسه بقدوم الأسطول العثماني ازدادت حدَّة حديثه وتشدَّد في مطالبه، وقد تجلَّى هذا في لهجته التي خاطبهم بها، فقال:

> **«ما دام الصَّدر الأعظم في منصبه، فلن تُكون هُناك مُصالحة حقيقية بيني وبين السُّلطان؛ فليُعيِّن عظمته صدرًا أعظمًا مِمَّنْ يشاء، وسوف أكون أوَّل مَن يتعاون معه في تثبيت ملكه، فأنا لا أسعى إلى هذا المنصب لنفسي، وسأرفضه إذا عُرِضَ عليَّ، ولكِنَّني أرغب بشدَّة في إزاحة الرَّجل الذي تكرهه الأُمَّة بأكملها، وطالما مُمثلو الدُّول الكبرى**

---

(1) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 157-158.

(2) ***M. Cochelet à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Président du Conseil, Ministre des Af- faires Étrangères., Alexandrie, le*** 15 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 150-152.

(3) ***Campbell to Ponsonby, Alexandria,*** 16 ***July*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 252-253

يدعمون خسرو باشا، فسوف يكون قادرًا على البقاء في منصبه، ولكن في اليوم الذي لا يتمتَّع فيه بحمايتهم عندها سيسقط، وإذا كانت إسطنبول غير مُهدَّدة وهادئة؛ فذلك بفضل دعم القوى العُظمى، وأمَّا إذا انسحب خسرو باشا، فسوف يَعُمّ الهدوء في العاصمة دُون تدخُّلهم»[١].

وأخبرهم مُحمَّد علي بأنَّه كتب رسالة إلى خسرو باشا يطلب منه الاستقالة من الصَّدارة العظمى، سوف يرسلها في الغد مع عاكف أفندي، كما أرسل بصحبة أحد السُّفن الفرنسية برسائل تحمل المعنى ذاته إلى والدة السُّلطان، وأُخت السُّلطان محمود، وطلب منهم ضرورة كتابة رسائلهم إلى دُولهم بالأمر[٢]، وقد تدخَّل القناصل ونصحوا له بضرورة إعادة الأسطول العثماني إلى إسطنبول، وبيَّنوا الخُطورة التي تنطوي على بقائه في الإسكندريَّة؛ لأنَّه قد يؤدّي إلى قدوم أُسطوليْ بريطانيا وفرنسا للمُطالبة بإعادته؛ فأجابهم أنَّه حينئذٍ سوف يكون مُضطرًا إلى الدّفاع عن نفسه، ونتيجة ذلك رَفَع القنصل الفرنسي إلى حكومته بشأن هذه التَّطوُّرات، وطلب منهم ضرورة مُساندة مُحمَّد علي، ومُؤازرته بكُلّ قوَّة لتحقيق مطالبه التي يُريدها؛ لأنَّ ذلك سيجعل له اليد العليا في الدَّوْلة العثمانيَّة، هذه المكانة لا تُريدها لهم القوى الأوروبيَّة الأخرى، وأضاف أنَّ مصلحتهم عدم التخلِّي عنه في الصَّراع الجديد الذي ينوي الانخراط فيه[٣].

---

(1) ***Résumé succinct de deux entretiens qui ont eu lieu entre le pacha d'Égypte et les Consuls généraux des quatre grandes Cours, Alexandrie, le*** *16* ***juillet*** *1839.* ***Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de*** *1839-1841.* ***Tome I:*** *154-159.*

(2) ***Ibid.***

(3) ***M. Cochelet à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Président du Conseil, Ministre des Af- faires Étrangères, Alexandrie, le*** 16 ***juillet*** 1839. ***Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 153-154.

كما رَفَعَ القنصل البريطاني إلى سفيره في إسطنبول يخبره بكُلّ التَّطوُّرات، وأوضح أنَّ العداء بين مُحمَّد علي وخسرو باشا مرير لدرجة يستبعد منها حدوث أيَّة مُصالحة بينهما، وأضاف أنَّ القول: إنَّ هُناك معرفة أو تفاهم مُسبق بين مُحمَّد علي وأحمد فوزي للتَّخْطيط لهذا العمل، هو أمرٌ غير مُرجَّح وبعيد كُلّ البعد، رغم أنَّهما كانا على عَلاقة سابقة؛ فقد كان السُّلطان محمود يرسل فوزي باشا ببعض الاقتراحات على الباشا[١] إبَّان حرب الشَّام الأولى، إلى جانب أنَّه يجمعهما العداء ضد خسرو باشا[٢].

---

[١] بدأ التَّواصل بينهما منذ حرب الشَّام الأولى، حينما كان أحمد فوزي يتولَّى منصب مشير الخاصَّة، وهُناك رسائل عدَّة وجَّهها إلى إبراهيم باشا يرجوه عدم الزَّحف على بورصة وألا يقترب من إسطنبول حقنًا لدماء المسلمين، وسعى في الصُّلح بينه وبين السُّلطان محمود الثاني. **عابدين تركي**، محفظة (٢٤٣)، أَرْقام ٨٤، ١٢٤، ١٢٥، ومحفظة (٢٤٤)، رَقْم ١٦، ومحفظة (٢٤٥)، رَقْم ١٣٣، ومحفظة (٢٤٥ ج.٢)، أرقام ٣٣، ٥٧، ٥٨، بتواريخ (رمضان– ذو الحجة ١٢٤٨هـ/ فبراير– مايو ١٨٣٣م)، أسد رُسْتم، **المحفوظات**، ج. ٢: ٢٤٥، ٢٤٩، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١٢. وفي أعقاب الحرب أرسل مُحمَّد علي الأميرة فاطمة الزَّهراء – أرملة ابنه إسماعيل باشا – إلى زيارة والدها عارف أفندي قاضي عسكر الأناضول، فأرجع السُّلطان معها أحمد فوزي، ورغم عدم استقبال مُحمَّد علي له فإنَّه أمر بإكرامه، وظلَّ فوزي باشا في الإسكندريَّة حتَّى وصلته أوامر من السُّلطان بالسَّعي في الصُّلح مع مُحمَّد علي، ولمَّا ناقش السُّلطان الأمر على رجال ديوانه، ذكروا له أنَّ فوزي باشا ليس أهلًا لهذا الأمر، واتَّفقوا على إرسال مندوب آخر، ولمَّا علم فوزي باشا بما دار أرسل إلى الباشا في القاهرة ينصحه بقوله: «إيَّاك وخَفض الجَناح إلى مَن سَيقدم إليك، واحْفَظ عليك نفسك وكرامتك، حتَّى أرجع إليك فأتَّفق وإيَّاك على ما فيه المصْلحة لبلادك إن شاء الله». ميخائيل شاروبيم، **الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث**، ج. ٤: ٧٣–٧٤؛ داود بركات، **البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشَّام ١٨٣٢م** (القاهرة: المطبعة الرَّحْمانيَّة، ط ١، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م): ٦٨. وللمزيد عن فاطمة الزَّهراء، يُنْظَرُ: سلوى إبراهيم مُحمَّد العطَّار، «الأميرة فاطمة الزَّهراء سفيرة مُحمَّد علي وعبَّاس الأوَّل بالآستانة: دراسةٌ وثائقيَّة» (القاهرة: جامعة عين شمس، **حوليات آداب عين شمس**، مج. ٣٤، جُمادى الآخرة– شعبان ١٤٢٧هـ/ يوليو– سبتمبر ٢٠٠٦م): ٨٣٩–٨٨٤.

[2] ***Campbell to Ponsonby, Alexandria,*** 16 ***July*** 1839**. *C.R.A.L, vol.*** 1**:** 252-253**.**

وفي صباح يوم الثُّلاثاء (٥ جُمادى الأولى/ ١٦ يوليو)، كان الأسطول العثماني قد رسا كاملًا في ميناء الإسكندرية[١]، وكان يتكوَّن من تسع قباقات[٢]، وإحدى عشرة فرقاطة[٣]، وسفينة قرويت[٤] (كورفيت)، وثلاثة أباريق[٥] (بريكات)، وعدد البحارة نحو ستة عشر ألفًا، وألايان من الجُنود عددهم خمسة الآف؛ أي أنَّ مجموع الأسطول أربع وعشرون سفينة، وواحد وعشرون ألف بحَّارة[٦]، ولمَّا وصل اتحد مع

---

(1) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 157-158.

(٢) **قباقات:** جمع: قباق، قبق، وتُعْرف بالغليون. من السُّفن الحربيَّة الكبيرة المُدرَّعة، وقباق بالتُّركيَّة تعني الغطاء، ومنه كوز قباغي؛ أي المركب الحربي الكبير، وعرفها العثمانيون منذ أوائل القرن (١١هـ/ ١٧م)، واستخدمت في عهد مُحمَّد علي، وقد أنشأ بعضها بالتَّرسانة البحريَّة بالإسكندريَّة. يُنْظَرُ: عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري:** ٢٠٩؛ درويش النخيلي، **السُّفن الإسلاميَّة على حُرُوف المُعْجم** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م): ١١٢-١١٣، ١١٩.

(٣) **فرقاطة:** جمعها فرقاطات، وفراقط، وفراقيط. من السُّفن الحربيَّة الخفيفة، وكانت تستخدم أيضًا في المُراقبة والكشف والحراسة، واستخدمها العثمانيون منذ أوائل القرن (١١هـ/ ١٧م)، وعرفتها مصر في عهد مُحمَّد علي، وهذا النَّوع كان يسير بالشِّراع ثُمَّ أصبح يسير بالبُخار، ومُزوَّدة بنحو خمسين أو ستين مدفعًا. يُنْظَرُ: عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري:** ٢٠٩؛ درويش النخيلي، **السُّفن الإسلاميَّة:** ١١٥-١١٦.

(٤) **قرويت:** جمعها قراويت، وقراويط. نوع من السُّفن الحربيَّة الخفيفة المُزوَّدة بصف واحد من المدافع على الجانبين، وهي وسط بين الفرقاطة والإبريق، استخدمها العثمانيون في مرحلة مبكرة من تاريخهم، وألحقت بالأسطول في عهد مُحمَّد علي، وكانت مُزوَّدة بنحو اثنين وعشرين مدفعًا إلى خمسة وأربعين مدفعًا، وتحمل نحو مئة وستين بحارة. يُنْظَرُ: عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري:** ٢٠٩؛ درويش النخيلي، **السُّفن الإسلاميَّة:** ١٢٦-١٢٧.

(٥) **أباريق:** جمع إبريق، نوع من السُّفن الشراعية الخفيفة في البحر المتوسط، وعرفها العثمانيون أوائل القرن (١١هـ/ ١٨م)، واستخدمها مُحمَّد علي إبان الحروب الوهَّابيَّة وأنشأ بعضها عام (١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م)، وكانت مُزوَّدة بمدافع يتراوح عدها بين ١٨ و٢٤ مدفعًا، ونحو تسعين من البحَّارة. درويش النخيلي، **السُّفن الإسلاميَّة:** ١-٢.

(٦) ذكرت بعض المصادر السُّفن باختلافٍ في عددها. يُنْظَرُ: إسماعيل سرهنك، **حقائق الأخبار عن دول البحار**، ج. ١: ٦٩٠؛ عبد الرَّحمن الرَّافعي، **عصر مُحمَّد علي** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م): ٢٨٢.

الأسطول المصري، الذي كان يتكوَّن من ثمانية وعشرين سفينة، منها أحد عشر قباقًا، وست فرقاطات، وخمس قراويت (كورفيتات)، وأربع غولتات[١]، وخمسة أباريق (بريكات)، وعدد بحارتها نحو ستة عشر ألفًا[٢]، ودخلا معًا إلى الميناء، فكان عدد سفنهما خمسين سفينة، عليها ثلاثة آلاف مدفع، وتقل خمسة وثلاثين ألف مقاتل؛ فأصبح مُحمَّد علي مُمتلكًا أكبر قوَّة بحريَّة في البحر المتوسط.

ونزل إلى الإسكندريَّة نحو سبعين من مُختلف قادة الأسطول العثماني، وقد قدَّمهم أحمد فوزي إلى مُحمَّد علي، وعند الدُّخول عليه أرادوا إلقاء أسلحتهم، فمنعهم الباشا، فمرّوا أمامه، وقبَّلوا قَدَميه، واصطفوا أمامه في صفَّين، وذلك في حضور جميع القناصل الأوروبيين، وعندئذٍ خطب فيهم، وقال:

«أبنائي، نحن جميعًا أبناء أُمَّة واحدة، ومن الآن فصاعدًا لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا مصري، أنا عثماني؛ فلدينا جميعًا دين واحد، وسلطان واحد، ويجب أن يكون هناك تلاحم لإعادة القوَّة والعظمة للدَّوْلة؛ لأنَّها اليوم صارت في وضع غير مُرْضٍ، واتحادنا جميعًا سوف يُعيد لها أمجادها، وهذا هدفنا الذي نسعى إليه، لم تكن لدي رغبة أخرى سوى تحرير الدَّوْلة، ورفع شأنها، وسعادة الأُمَّة، وإنّي مُخلص بجسدي وروحي لسُلطاننا العظيم، وأدعو الله أن يمدّ في عمره ألف سنة، سُلطاننا جوهرة جميلة لا عيب فيها، وإذا دُنِّست من قبل البعض، فذلك سيكون بسببنا، أنتم تفهمون أنَّني أعني خسرو باشا، الذي كانت أعماله مُضِرَّة بالسَّلْطنة، وإذا استمرَّ فسوف يؤدي إلى هَلاكها، واجبنا أن نتكاتف ضده؛ حتَّى لا يتسبَّب في مزيد من الأضرار»[٣].

---

[١] **غولتات:** مركب حربي له صاريان، ضيق طويل، سريع الحركة، يحمل نحو اثنين وعشرين مدفعًا صغيرًا، ونحو مئة بحَّارة. يُنْظَرُ: عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري:** ٢٠٩.

[٢] أ. ب كلوت بك، **لمحة عامَّة إلى مصر**، ترجمة: مُحمَّد مسعود (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة، ط ٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م): ٥٣-٥٣٧؛ عمر طوسون، **الجيش المصري البري والبحري:** ١١٤-١١٨. ويُنْظَرُ: مُلحق رقم (١).

[3] ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 164-165.

أثارت هذه الخطبة الحماسة لدى كافَّة المستمعين، فقد عزف الباشا على شعور الإيمان بالمصير المشترك والقضية المشتركة، لم يكن بين الجمع منتصرين ومنهزمين، بل أصبحوا أسرة واحدة، لديها عدو واحد هو خسرو باشا، وقد وافقه الضباط جميعًا على حديثه هذا، وقد طلب مصطفى باشا، أحد قادة الأسطول العثماني، من مُحمَّد علي أن يسمح لهم بارتداء زي المؤمنين الحقيقيين – هكذا أطلق على الزي المعتمد في مصر وهو ذاته الزي العثماني القديم – وعندئذٍ قال الباشا للقبودان باشي: أنتم في إسطنبول ارتديتم الزيّ الأوروبي وما زلتم تفكرون بعقلية الأتراك، ولكنني احتفظت بالعادات التركية وأفكر بعقلية الأوروبيين"[١].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الباشا رفض ما اقترحه عليه بوغوص بك أحد أهم مستشاريه، بعدم إبقاء الأسطول العثماني، ونادى بضرورة ردّه إلى الدَّوْلة؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى تأليب القوى الأوروبيَّة الكبرى وإثارتها[٢]. واعتمد على رأي أرتين بك الذي كان من أكثر المؤيّدين المُتحمسين لقدوم الأسطول[٣].

هكذا استقبل مُحمَّد علي الأسطول العثماني وتسلَّمه، وكان لهذا الحادث تأثيرٌ كبيرٌ في سير المسألة المصرية؛ لأنَّ وصول الأسطول إلى مصر بعد انتصارها في معركة نزيب جعل كِفَّتها الرَّاجحة على الدَّوْلة العثمانيَّة في البر والبحر، وعندئذٍ بلغت مصر أوج قوَّتها وعظمتها[٤] في هذه المرحلة الخطيرة في المشرق العربي.

ظنَّ مُحمَّد علي أنَّ الدُّنيا فاضت عليه وأقبلت حينما أهْدته هذه الغنيمة الباردة، واستولى الغرور عليه وبان له أنَّ نجم سعده صاعد، فقد انتصر على العثمانيين في

---

(1) ***E. de Cadalvène, E. Barrault, l'Histoire d'Orient, tome. II:*** 165-166.

(٢) حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر في القرن الثَّالث عشر الهجري: تكملة تاريخ الجبرتي عجائب الآثار**، ج. ١ (الرياض: مركز الملك فيصل، مخطوط تحت رَقْم «١٦٧٤»، تاريخ نسخه ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م): ١٠٧.

(3) ***M. A. de Lurde à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Alexandrie, le*** 16 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841, Tome I:*** 159-164.

(٤) عبد الرَّحمن الرَّافعي، **عصر مُحمَّد علي**: ٢٨٣.

معركة نزيب، ثم نجح استدراج الأسطول العثماني إلى الإسكندرية، وتجمَّع حوله الأتراك والمصريون في صعيدٍ واحدٍ، وهكذا بلغ مُحمَّد علي قمَّة مجده وسُؤدده، لكن هل سيظل الباشا في مفازة بأمره أمْ ستقلب له الدُّنيا ظهر المِجَنّ؟

سادسًا- استغلال مُحمَّد علي الأسطول العثماني لخدمة مصالحه.

في نشوة هذا الانتصارات أرسل الباشا إلى غريمه القديم خسرو باشا كتابًا بواسطة عاكف أفندي يُعْلمه بوصول صُدور العفو السُّلطاني وإعطائه ولاية مصر بشكلٍ وراثي، ويشكره على حسن نواياه، ولكِنَّه يخبره بضرورة جعل كُلّ ما يملكه (مصر، الشَّام، الحجاز، كريت) إلى مبدأ الوراثة، وفي الوقت ذاته قام بإرسال خطابات إلى الوزراء والولاة، وإلى والدة السُّلطان الحاكم، وكذلك خالة السُّلطان، حتَّى يتمكَّن من إثارتهم ضد خسرو باشا لعزله من الصَّدارة العظمى، كما أرسل إلى ابنه إبراهيم باشا، يعلمه بوصول الأسطول العثماني وانضمامه للأسطول المصري، وذلك للتَّعاون في عزل خسرو باشا والإطاحة به[١].

ويتَّضح أنَّ مُحمَّد علي تشدَّد في مطالبه عقب سيطرته على الأسطول العثماني، وقد عمد بشتَّى الطُّرق للإجهاز على عدوه إمَّا لعزله من الصَّدارة، وإمَّا أن يرضخ لمطالبه ويُحَققها، وشنَّ الهجوم عليه في إسطنبول على كافَّة المُستويات الإداريَّة والعسكريَّة والدينيَّة، كما قاد هجومًا آخر باستغلاله القناصل الأوروبيين[٢] في

---

[١] **عابدين تركي**، دفتر (٦)، أرْقام ١٥٦، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣ من مُحمَّد علي إلى المذكورين أعلاه، بتاريخ (٥، ٦ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٦، ١٧ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٢٨-١٣٠.

[٢] كان على رأسهم باتريك كامبل قنصل بريطانيا العام بالإسكندريَّة، وتقاريره لم تكن تلقى قَبُولًا لدى بونسونبي السفير في إسطنبول وبالمرستون وزير الخارجيَّة، الذي استاء منه واتَّهمه بأنَّ تقاريره عن الباشا مُجانبه للصواب، وانتهى الأمر بعزله وتعيين الكولونيل هودجز Colonel Hodge وأرسل إلى مُحمَّد علي يعلمه بأمر هذا التَّغيير، يُنْظَرُ:

Viscount Palmerston to Colonel Campbell, Foreign Office, 26 ***September*** 1839***; Viscount Palmerston to His Highness the Vizier Mehemet Ali Pasha, Viceroy of Egypt, Foreign Office,*** 3 ***October*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 422***,*** 433***; Frederick Stanley***

الإسكندريَّة ليقنعوا سفرائهم بقبول مطالب الباشا وتأييدها، ومن يُطالع تقاريرهم يتَّضح انحيازهم لآراء الباشا، رُبَّما تسليمًا لِمَا رأوه بأمّ أعينهم في الإسكندريَّة، وإمساكه بتلابيب الأُمور فيها، وسيطرته على الموقف، والتَّلاحُم الواقع بين قادة الأسطولين العثماني والمصري، ورُبَّما عملهم هذا نابع من حصولهم على رشوة تلقوها من مُحمَّد علي، وذلك ليس عليه ببعيدٍ.

على أيَّة حال، فقد اتخذ مُحمَّد علي خطوات تصعيديَّة في إسطنبول والولايات العثمانية للدَّعاية ضد خسرو باشا، والمُناداة بضرورةِ عزله من الصَّدارة العظمى[١]، وتسبَّبت الإجراءات التي اتَّخذها الباشا في إثارة غضب خسرو باشا؛ فقام بإرسال الرَّسائل إلى كِبار قادة الأسطول العثماني[٢]، حاول فيها استمالتهم إليه للعودة بالأسطول إلى الآستانة، وأخبرهم أنَّ فوزي باشا خائنٌ وطلب منهم القبض عليه، وقد وقعت الرَّسائل[٣] في أيدي مُحمَّد علي، فأرسل إلى خسرو باشا يخبره أنَّ قدوم الأسطول العثماني بقادته وجُنوده إلى الإسكندريَّة من الأدِلَّة الدَّامغة على عدم ثقتهم في سياسته، وأنَّهم لم يرتبكوا جُرْمًا عندما قَدِمُوا إلى الإسكندرية؛ لأنَّه أحد موالي الدَّولة العثمانيَّة، ولم يذهبوا إلى دولة أجنبية، وقدومهم إليه كان لرغبتهم في التَّعاون معه للإطاحة به من الباب العالي[٤].

Rodkey, "Colonel Campbell's Report on Egypt in 1840***, with Lord Palmerston's Comments", The Cambridge Historical Journal, Vol.*** 3***, No.*** 1 ***(***1929***), p.p.*** 102-114.

[١] مُكاتبة من مُحمَّد علي إلى وزراء ولاة السَّلطنة السَّنية، بتاريخ (١٣ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ٢٤ يوليو ١٨٣٩م). **الأوامر والمُكاتبات**، ج. ٢: ٣٤٢-٣٤.؛ **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٦٢، من مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، بتاريخ (١٣ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ٢٤ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُستم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٦٦.

[٢] هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد مُحمَّد علي**: ١٩٨.

[٣] هذه الرَّسائل بعثها خسرو باشا عن طريق الأميرال ألبين روسين Albin Roussin الذي أرسلها بواسطة باخرة فرنسية إلى الإسكندرية ليتسلَّمها القنصل الفرنسي العام كوشيله Cochelet ويقوم بدوره بتسليمها بنفسه إلى قادة الأسطول العثماني، لكِنَّه سلَّمها إلى مُحمَّد علي. يُنْظَرُ:

Colonel Campbell to Viscount Palmerston, Alexandria, 28 ***July*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 333-334.

[٤] **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رقم ١٩٠، من مُحمَّد علي إلى خسرو باشا، بتاريخ (١٥ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ٢٦ يوليو ١٨٣٩م)، نقلًا عن: أسد رُستم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج.٤: ١٦٧. ويُنْظَرُ:

ولا ريب أن الضُّغوط التي مارسها مُحمَّد علي والدَّعاية ضد خسرو باشا كانت لرغبته في إنهاء الأمر في أسرع وقتٍ ممكن، وهذا يتَّضح في تقارير القنصل الفرنسي في الإسكندرية الذي ذكر أنَّ الباشا كان ينتظر بفارغ الصبر ردّ السُّلطان على مطالبه، ويأمل أن يتم ذلك في أسرع فرصة لأنَّه يشتبه في أنَّ استعداد بعض السُّفراء لدعم خسرو باشا ومُساعدته؛ ولذلك سعى إلى إتمام الأمر قبل أن يتلقَّى السُّفراء أيَّة تعليمات من حكوماتهم، وأنَّه يعوّل بشكلٍ كبيرٍ على والدة السُّلطان، وكبار الباشوات، وشيخ الإسلام في إسطنبول، وكان يرى ضرورة أن تقف القوى الأوروبية على الحِياد، لأنَّ الخِلاف يقتصر على تغيير خسرو باشا(١).

يبدو أنَّ الحملة الدَّعائية التي خاضها مُحمَّد علي في الآستانة قد آتت أكُلها، فقد رأى بعض الوزراء العثمانيين أنَّه يجب على الباب العالي التَّفاوض مع الباشا مبُاشرة لتجنب تدخُّل القوى العظمى(٢)، واقتنع السُّلطان ورجاله بأنَّ مصلحة الدَّولة في التَّعْجيل بحلّ الخلاف القائم بصورة سلميَّة مع الباشا وتحقيق مطالبه(٣)، فاجتمع الوزراء وخسرو باشا وشيخ الإسلام ثلاث مرَّات في الفترة (١٠– ١٦ جُمادى الأولى/ ٢١– ٢٧ يوليو)؛ لاتخاذ الإجراءات اللازمة، وإرسال مندوبين إلى مصر(٤).

قام بونسونبي بمُكاتبة بالمرستون وذكر أنَّه في حدود أيَّام قليلة سيتم التَّوصُّل إلى تسوية بين مُحمَّد علي والباب العالي، وأنَّ الردَّ الذي سيتم تقديمه إلى الباشا قد لا

---

de la lettre de son Altesse le vice-roi à Son Altesse Khosrew Pacha, Alexandrie le 26 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841, Tome I:*** 213-215.

(1) ***M. Cochelet à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Président du Conseil, Ministre des Affaires Étrangère, Alexandrie, le*** 26 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841, Tome I:*** 184-187.

(2) ***Ponsonby to Palmerston, Therapia,*** 20 ***July*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1*:* 284.

(٣) سليمان أبو العز، **إبراهيم باشا في سوريا:** ٢٤٩؛ هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد مُحمَّد علي:** ١٩٩.

(٤) مُحمَّد صبري السُّوربوني، **الإمبراطوريَّة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي والمسألة الشَّرقيَّة ١٨١١–١٨٤٩م**، ج. ٢، ترجمة: ناجي رمضان عطيَّة، مُراجعة: أحمد زكريا الشِّلق (القاهرة: المركز القومي لترجمة، ط ١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م): ٢٤١–٢٤٢.

يكون مُرضيًا له، وإذا أصرَّ الباشا على مطالبه؛ فسوف يذعن لها الباب العالي، ورُبَّما يوافق الباشا على ما عُرض عليه، ويؤجِّل اتخاذ الإجراءات الكاملة لمرحلةٍ لاحقةٍ، وتوقَّع بونسونبي أنَّ العرض الذي سيُقدَّم للباشا هو أن تصبح مصر ولاية وراثية لمُحمَّد علي، وتُمنح ولاية الشَّام لإبراهيم باشا حتَّى وفاة مُحمَّد علي، وبعدها تعود الشَّام إلى الباب العالي، ومن المُقرَّر الاتفاق على الصيغة النهائيَّة بين الوزراء في (١٧ جُمادى الأولى/ ٢٨ يوليو)، ليتم كتابتها في رسالة، ويحملها مندوبٌ إلى مُحمَّد علي[١].

سابعًا- موقف القوى الأوروبية من قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية.

كان خروج الأسطول العثماني من قاعدته ووصوله إلى الإسكندرية قد أقَضَّ مضاجع رجال السياسة الأوروبيَّة؛ لأنَّه قلب الشَّرق رأسًا على عقب، ومنذ أن ترامت أخباره إلى أوروبا اجتمع سفراء ومفوضو الدُّول الكبرى في فيينا برئاسة المستشار النمساوي كلمينس فون مترينخ ***Klemens von Metternich*** لاتخاذ اللازم في ظلّ هذه الأزمة، وفي أيَّام قليلة تبلورت النَّتائج التي أُرسلت بتاريخ (٦ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٧ يوليو ١٨٣٩م) إلى السُّفراء في إسطنبول، ووصلت إليهم بعد عشرة أيَّام[٢]، وتبلورت في مذكرة ٢٧ يوليو ١٨٣٩م، التي قدَّمها سُفراء الدُّول في إسطنبول إلى الباب العالي، وطالبوا عدم توقيع أي اتفاق نهائي بشأن المسألة الشرقيَّة القائمة بين الباشا والسُّلطان دون مشاركة الدُّول الخمس الكبرى، التي ستقدم المُساعدة لإنهاء الأزمة[٣].

ونتيجة هذه التطوُّرات طلبت الحكومة الفرنسيَّة من قنصلها في مصر بضرورة نصح الباشا بالاعتدال في مطالبه؛ لأنَّه إذا انتزعت بالقوَّة من الباب العالي فلن يكون

---

(1) ***Ponsonby to Palmerston, Therapia,*** 26, 27 ***July*** 1839**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1**:** 298-299**.**

(٢) مُحمَّد عبد الستار البدري، **المواجهة المصريَّة الأوروبيَّة في عهد مُحمَّد علي**، تقديم: مصطفى الفقي (القاهرة: دارُ الشُّروق، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م): ١٧٨-١٨٠.

(٣) رينيه قطاوي وجورج قطاوي، **مُحمَّد علي وأوروبا**، نقله عن اللُّغة الفرنسيَّة: ألفريد يلوز، المقدمة: فرنسوا شارل رو (القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م): ١٣٦.

لها صفة نهائية، ولن يتمخَّض عنها سلام دائم إذا لم ترعاها الدُّول الأوروبيَّة الكبرى وتُصدِّق عليها، وعليه ألَّا يقوم بأعمال تعيق عودة الأسطول العثماني إلى إسطنبول[١].

هذا الأمر توقَّعه القنصل الفرنسي بالإسكندرية قبل حدوثه؛ فقد رأى أنَّه نتيجة تعنُّت الباشا ومُغالاته في مطالبه، فإنَّ المسألة لن تظلّ مُتداولة فقط بين قناصل الدُّول في الإسكندريَّة، وحتمًا ستنتقل إلى أوروبا ليُناقشها وزراء خارجيَّة الدول الكبرى وسفرائهم في إسطنبول، وبخاصَّة أنَّها أصبحت مسألة أوروبيَّة بامتياز[٢].

وفي (٢٥ جُمادى الأولى/ ٥ أغسطس) وصل موفق بك ومعه ردُّ الصَّدر الأعظم بالإضافة إلى المذكرة المشتركة، وجدَّد القناصل الأوروبيون في الإسكندرية طلبهم بإعادة الأسطول العثماني في أسرع وقت، وقد ضاق مُحمَّد علي بهذه الأحداث، فأرسل إلى خسرو باشا يذكره بالقرارات التي سبق اتخاذها، واجتمع عليها الوزراء في الباب العالي قبل تدخُّل القوى الأوروبيَّة، ومنذ ذلك الحين فشلت الجهود التي بذلها مُحمَّد علي لعقد اتفاقية مباشرة مع الباب العالي[٣].

وهكذا أصبح تسوية النِّزاع بين السُّلطان ومُحمَّد علي بيد القوى الأوروبيَّة الكبرى؛ لأنَّه أُعد مسألة أوروبيَّة؛ وفي الواقع أنَّ القوى الكبرى لم يكن لديها رغبة في تكرار ما وقع في حرب الشَّام الأولى؛ لأنَّ الظُّروف الأوروبيَّة تغيَّرت، وتغيَّرت معها مواقف دُولها، وهذا الأمر لم يضعه مُحمَّد علي في اعتباره، فقد كانت بريطانيا تُساند السُّلطان معنويًّا، وروسيا تُسانده عسكريًّا، والنمسا تتعاطف معه[٤].

---

(1) ***De Paris à M. Cochelet Consul Général de France en Égypte, Paris le*** 27 ***Juillet*** 1839**.,** ***Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 190-193**.**

(2) ***M. A. de Lurde à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Alexandrie, le*** 16 ***juillet*** 1839**,** ***Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841. Tome I:*** 159-164**.**

(٣) مُحمَّد صبري السُّوربوني، **مُحمَّد علي والمسألة الشَّرقيَّة**، ج. ٢، ٢٤٤.

(٤) مُحمَّد عبد الستَّار البدري، **المواجهة المصريَّة الأوروبيَّة:** ١٦٣.

ثامنًا- الخطط البريطانيَّة لإعادة الأسطول العثماني إلى إسطنبول.

كانت سياسة بريطانيا في مطلع القرن التَّاسع عشر ترمي إلى المحافظة على الدَّولة العثمانيَّة وأُسرتها الحاكمة، من أجل حفظ توازن القوى في أوروبا(١)، ومن ناحية أخرى كان مُحمَّد علي المنافس الإقليمي الرَّئيس لبريطانيا في المشرق؛ فقد امتدَّت توسُّعاته في القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربيَّة، ووصلت حتَّى اليمن(٢)، وسواحل الخليج والبحرين، وتطلَّع إلى العراق(٣)، ولم يكن من مصلحة بريطانيا قيام دولة قوية في المشرق تُهدِّد طرق مواصلاتها إلى الهند، وبخاصَّة أنَّ مُحمَّد علي من أصدقاء فرنسا، وهذه الأخيرة كانت تُزاحم بريطانيا في السياسة الاستعماريَّة بوجه عام، والتَّفوُّق في البحر المتوسط بوجه خاص(٤). ومن سوء حظ الباشا أنَّه اجتمع له عددٌ من الكارهين لتطلعاته، وهم: هنري بالمرستون وزير خارجية بريطانيا، وجون بونسونبي سفير بريطانيا في إسطنبول، ومصطفى رشيد باشا وزير خارجية الدَّوْلة العثمانيَّة، واتَّفقوا جميعًا على الوقوف ضدَّه، وتقليم أظافره.

---

(1) ***Viscount Palmerston to Lord Beauvale,*** 1 ***August*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 231-232***; Frederick Stanley Rodkey, "Lord Palmerston and the Rejuvenation of Turkey,*** 1830-41***": Part II,*** 1839-41***, University of Chicago, The Journal of Modern History, Vol.*** 2***, No.*** 2 ***(Jun.*** 1930***), pp.*** 193-225.

ويُنْظَرُ: يُوسف حُسين عُمر، **سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانيَّة ١٨٣٩-١٩٠٩م** (إسطنبول: مركز التاريخ العربي للنَّشر، ط ١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م): ٤٧ وما بعدها.

(٢) فاروق عثمان أباظة، **عدن والسياسة البريطانيَّة في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م** (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ١١٦ وما بعدها؛ نيفين مصطفى حسن سعد، «موقف بريطانيا من سياسة مُحمَّد علي التَّوسُعيَّة في اليمن ١٨٣٢-١٨٤٠م» (المنصورة: جامعة المنصورة، **مجلَّة كلية الآداب**، ع. ٦٢، ربيع الآخر ١٤٣٩هـ/ يناير ٢٠١٨م): ٥٠١ وما بعدها.

(٣) سُهير نبيل كمال، **سياسة مُحمَّد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها ١٨١٦-١٨٤٠م** (الموصل: رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م): ٦١ وما بعدها؛ راجية إسماعيل أبو زيد، «خطة مُحمَّد علي للاستيلاء على العراق وموقف بريطانيا منه ١٨٣١-١٨٤٠م» (القاهرة: جامعة عين شمس، **مجلَّة بحوث الشَّرق الأوسط**، ع. ٣٣، ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر ٢٠١٣م): ٤٤ وما بعدها.

(٤) سليمان أبو العز، **إبراهيم باشا في سوريا**: ٢٤٩-٢٥٠.

استاءت بريطانيا مُمَثَّلة في وزير خارجيتها هنري بالمرستون من اندماج الأسطولين المصري والعثماني تحت سيادة مُحمَّد علي في الإسكندريَّة، حيث صارا يكوّنان قوَّة بحريَّة ضخمة في البحرين المتوسط والأحمر، ولا ريب أن الأمر كله يُهدِّد المصالح البريطانيَّة في المنطقة برمتها؛ ولذلك لم تنتظر ما تسفر عنه المفاوضات بين الباب العالي والباشا، ولا المفاوضات بين القوى الأوروبيَّة، وقرَّرت إجبار مُحمَّد علي على إرجاع الأسطول العثماني إلى إسطنبول(١).

ووضع بالمرستون عددًا من التصوُّرات والخطط التي هدفت كُلّها إلى إعادة الأسطول العثماني إلى إسطنبول وإخضاع مُحمَّد علي؛ وذلك من خلال فرض حصار عليه في الإسكندرية، ومهاجمة سفنه التجاريَّة في البحر المتوسط، وقطع الاتصالات البحرية بين مصر والشَّام، والاستعانة بقوَّة عسكرية عثمانية تنزل إلى الإسكندرية بمُعاونة من أساطيل القوى الأوروبيَّة(٢).

وتطوَّر الأمر إلى وضع تصوُّر آخر عرضه على البارون دي بوركيني ***Baron de Bourgueney*** السَّفير الفرنسي في لندن يهدف إلى التَّعاون بين الأسطولين البريطاني والفرنسي الرَّابضين في شرقي المتوسط أن يتَّجها إلى موقع مُقابل لميناء الإسكندرية، وذلك لمنع أسطول مُحمَّد علي من الدُّخول إلى الميناء إذا كان خارجه، أو منعه من الخروج إذا كان داخله؛ وعلى قادة الأسطولين أن يخبرا الباشا أنَّ حكوماتهما، وهما حلفاء للسُّلطان، يعملان على سلامة الدَّوْلة العثمانيَّة، وضرورة إعادة الأسطول العثماني فورًا إلى إسطنبول، وإذا خشي بعض ضُبَّاط الأسطول العثماني على حياتهم نتيجة عودتهم، فيمكن لهم البقاء في مصر، ويُمكن الاستعانة بهم لإيصال الأسطول إلى رودس أو أي ميناء تابع للدَّوْلة، ثُمَّ يسمح لهم بالعودة إلى مصر(٣).

---

(١) مُحمَّد صبري السُّوربوني، **الإمبراطوريَّة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي**، ج. ٢: ٢٣٥-٢٣٦.

(2) ***Palmerston to Lord Beauvale,*** 1 ***August*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1**:** 232-234**.**

(3) ***Viscount Palmerston to the Baron de Bourgueney,*** 3 ***August*** 1839**, *C.R.A.L, vol.*** 1**:**239-240**.**

وأضاف بالمرستون أنَّه إذا رفض مُحمَّد علي الامتثال لهذه المطالب، عندئذٍ يجب على قادة الأسطولين اتخاذ كافَّة التَّدابير القسريَّة بصورة تدريجيَّة حسبما يتطلب الموقف لإجبار مُحمَّد عليّ على التَّنفيذ، فإن لم يخضع فحينها يحاولان الاستيلاء على الأسطول المصري وإرساله إلى السلطان، وتطرَّق إلى ضرب حصار اقتصادي على الباشا باحتجاز السُّفن التجاريَّة التي تبحر تحت العلم المصري[١]، وقد عُرِضَت هذه الخطط المُقترحة على اللُّوردات مُفوَّضي الأميراليَّة، وتضمَّن تكليف الأميرال سير روبرت ستوبفورد ***Sir Robert Stopford*** القائد الأعلى للأسطول في البحر المتوسط، مع منحه سلطة تقديرية لاتخاذ اللازم حَسْب تطوُّرات الأمور[٢].

وبعد أن صاغ بالمرستون الخطة التي سيتم بها استرداد الأسطول العثماني، سعى إلى التَّنسيق مع فرنسا من خلال سفيره في باريس أرل جرانفيل ***Earl Granville*** الذي عَرَضَ الأمر على الحكومة الفرنسية، باقتراح اشتراك الأسطولين البريطاني والفرنسي ضد مُحمَّد علي لإعادة الأسطول العثماني، لكن رأى أنَّ سحب الأساطيل من الدَّرْدَنيل إلى الإسكندريَّة سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة لا تحمد عُقباها، رُبَّما ينتج عنها دخول الأسطول الروسي إلى مضيق البسفور[٣].

وكان هذا الردُّ يوحي بشكلٍ ضمني أنَّ فرنسا لا تسعى إلى استخدام الوسائل القسرية المقترحة في تعاملها مع مُحمَّد علي، إلى جانب أنَّ الخطط التي وضعها بالمرستون رفض دي بوركيني السَّفير الفرنسي في لندن الموافقة عليها نيابة عن حكومته[٤]، وقد وصلته رسالة من سفيره في باريس تعلمه أنَّ الانطباع الأوَّل من رئيس الحكومة الفرنسية لم يكن مؤيدًا لاعتماد الخطط المقترحة، وهذا ما تأكد بعد مُناقشة الموضوع في مجلس الوزراء الذي أخبره برسالةٍ أُخرى أنَّه تمَّ الاعتراض على منح التَّعليمات المُقترحة للأميرال لالاند قائد الأسطول الفرنسي؛ وذلك نتيجة التخوُّف أن

---

(1) ***Ibid.***

(2) ***Viscount Palmerston to the Lords Commrs. of the Admiralty,*** 5 ***August*** 1839***, C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 245-246.

(3) ***Earl Granville to Palmerston, Paris,*** 2 ***August*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 242-244.

(4) ***Viscount Palmerston to Earl Granville,*** 5 ***August*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 248.

يؤدي التَّعاون القسْري إلى تدمير الأسطول المصري على يد فرنسا؛ الأمر الذي يترتَّب عليه حدوث ضجَّة كبرى من الرَّأي العام الفرنسي ضد الحكومة(١).

ويبدو أنَّ كُلّ ذلك أقنع بالمرستون بضرورة الاعتدال في خططه المقترحة لإعادة الأسطول العثماني إلى إسطنبول، وأخبر مجلس اللوردات أنَّه إذا اعترضت الحكومة الفرنسية على أي إجراء من التَّدابير، ورغبت في إدخال تعديلات عليه، فإنَّ المندوب سوف ينتظر في باريس حتَّى يتم التوصُّل إلى اتفاق نهائي(٢).

وقام بالمرستون بوضع خطة مُعتدلة، وخفَّف من حدَّة الوسائل القسْرية، وصيغت الخطة الجديدة بناءً على المعلومات التي وصلت إلى بالمرستون؛ والتي تفيد أنَّ الأسطول ذهب إلى الإسكندرية بناءً على معلومات مغلوطة وصلتهم؛ ولذلك سيكون على قائد الأسطول ستوبفورد ألَّا يكتفي فقط بمطالبة مُحمَّد علي بإعادة الأسطول، بل والاتصال بقادة الأسطول العثماني ليشرح لهم زيف المعلومات التي أجبرتهم على اتخاذ قرارهم، ويطلب منهم فصل أسطولهم عن الأسطول المصري، ويُبَيّن لهم أنَّ بريطانيا وفرنسا ليس لهما غرض سوى تقديم الدَّعم للسُّلطان وسلامة دولته، ثُمَّ يدعوهم إلى الانضمام للأسطولين البريطاني والفرنسي والعودة إلى إسطنبول. وأضاف بالمرستون أنَّ ستوبفورد لن يقوم بأي عمل عدائي ضد الأسطولين المصري والعثماني إلَّا في حالة الدفاع عن النَّفس؛ لأنَّ هدف الحكومة البريطانيَّة الحفاظ على الدَّولة العثمانيَّة، وليس تدميرها. ولحين انتهاء المفاوضات يجب أن يكون ستوبفورد على مقربة من الأسطول العثماني ويتتبعه أينما ذهب، وخُتِمَ التَّقرير بالتَّأكيد على أنَّ عودة الأسطول العثماني إلى إسطنبول الهدف الرَّئيس لحكومة صاحبة الجلالة(٣).

---

(1) ***Earl Granville to Viscount Palmerston, Paris,*** 5, 8 ***August*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 267-268, 280-281.

(2) ***Viscount Palmerston to the Lords Commrs. of the Admiralty,*** 6 ***August*** 1839, ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 247.

(3) ***Viscount Palmerston to the Lords Commrs. of the Admiralty,*** 7 ***August*** 1839, ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 264-266.

وأرسل بالمرستون الخطة الجديدة إلى أرل جرانفيل سفير بريطانيا في باريس، ليعرضها على الحكومة الفرنسية، وإذا وافقت عليها يتم إرسالها إلى قائدي الأسطولين البريطاني والفرنسي للعمل على تنفيذها(١)، وقد أرسل جرانفيل نُسخة من الخطة المقترحة إلى المارشال سولت ليعرضها على مجلس الوزراء، ووصلت برقية من السَّفارة الفرنسيَّة في لندن تُفيد سحب مجلس الوزراء البريطاني مشروعه الأوَّل لإعادة الأسطول العثماني، على أن يتم التَّنْسيق بين الحكومتين في المشروع الأخير، وقد عرض الأمر على مجلس الوزراء الفرنسي، ويبدو أنَّه لم ينل الموافقة، وتم تأجيل البت فيه(٢)، وبعدها التقى سولت مع جرانفيل وأبلغه أنَّ حكومته ليس لديها رغبة في زيادة قوَّة مُحمَّد علي، وإصرارنا على تنازله عن أكثر مِمَّا ينبغي أن يتنازل عنه سوف يؤدّي إلى تسريع الأزمة الأمر الذي قد يؤدي إلى حرب عامَّة بين القوى الأوروبيَّة، وهو أمرٌ يرغب الجميع في تجنبه(٣).

ولا ريب أنَّ فرنسا كانت تسعى إلى اكتساب الوقت بدون استخدام القوَّة ضد الباشا حتَّى يتمكَّن من عقد تسوية مباشرة مع الدَّولة العثمانيَّة دون تدخُّل من القوى الأوروبيَّة؛ ولذلك أكثرت من مماطلتها في اتخاذ قرار قطعي في المشروعات البريطانية المقترحة لإعادة الأسطول العثماني إلى الباب العالي.

وتسرَّبت أنباء الخطط البريطانية إلى الصُحف الفرنسيَّة، التي شنَّت حملة على بريطانيا وسياستها، وأثار هذا الأمر غضب بالمرستون الذي أسرع في مُكاتبة إيرل جرانفيل سفيره في باريس، يعلمه بخطورة الأمور النَّاتجة عن هذه التَّسريبات، وضرورة إبلاغ الحكومة الفرنسيَّة، فقال:

> **«يجب لفت انتباه الحكومة الفرنسيَّة إلى حقيقة أنَّ <u>الاتصالات السريَّة التي جرت مؤخَّرًا بين مجلسي الوزراء البريطاني والفرنسي حول موضوع الأوامر التي سيتم إصدارها إلى الأسطولين في البحر الأبيض</u>**

(1) ***Viscount Palmerston to Earl Granville,*** 7 ***August*** 1839***, C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 266**.**
(2) ***Earl Granville to Palmerston, Paris,*** 9 ***August*** 1839**. *C.R.A.L, vol.*** 1**:**281-282**.**
(3) ***Earl Granville to Palmerston, Paris,*** 12 ***August*** 1839**. *C.R.A.L, vol.*** 1**:**282-283**.**

المتوسط؛ نتيجة انشقاق الأسطول التركي واستقبال مُحمَّد علي له – تمَّ إبلاغها، بطريقةٍ أو بأخرى للصُّحف الفرنسيَّة. وقد حدث هذا بينما كانت المسألة المعنية لا تزال غير محسومة بين الحكومتين؛ وأنَّ الرِّسالة التي تمَّ إرسالها إلى الصُّحف الفرنسيَّة من قِبل الأطراف التي أرسلت إليها قد تمَّ تحويلها إلى وسيلة للتَّضليل والهجمات العدائيَّة التي لا أساس لها من الصّحة ضد بريطانيا العظمى. وتعتقد حكومة صاحبة الجلالة أنَّه من الضَّروري مُلاحظة أنَّه لا بُدَّ أن تنجم عن انتهاك الثقة في العلاقات الرَّسْمية لمشاكلٍ خطيرةٍ، وهذا الكشف المُبكِّر عن المُفاوضات بين الحكومتين سوف يُؤدِّي إلى جعل أي عمل مشترك بينهما صعبًا»[١].

وتأكَّد بالمرستون أنَّه من الصَّعب إقناع فرنسا بالدُّخول في عمل مشترك ضد مُحمَّد علي؛ وبخاصَّة أنَّ الرَّأي العام الفرنسي كان يقف إلى جانبه بعد انتصاراته التي حقَّقها في المشرق، وتجلَّى ذلك في الصُّحف الفرنسيَّة ضد سياسة بريطانيا، فقد استطاع مُحمَّد علي استمالة كِبار الكُتَّاب في الصُّحف الفرنسيَّة، وكان يُقدِّم إعانات تربو عن ثلاثمائة وخمسين ألف فرنك سنويًّا[٢].

وفي هذه الفترة ترامت الأخبار إلى مُحمَّد علي بموضوع المشروع البريطاني المزمع للهجوم على الإسكندرية، فكتب إلى ابنه إبراهيم باشا في (٥ جُمادى الآخرة ١٢٥٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٣٩م) يخبره بوصول أنباء تفيد احتمالية قدوم الأسطولين البريطاني والفرنسي إلى الإسكندرية، ليستخدما للضغط عليه[٣]؛ وأنَّه قد أجابهم أنَّه مُسْتَعدٌ للدّفاع عنها. وفي (١٢ جُمادى الآخرة/ ٢٢ أغسطس) أصدر الباشا أوامره إلى إبراهيم بتحريك الجيوش إلى ديار بكر وقونية واحتلالهما، ولكن إبراهيم باشا أرسل إلى

---

(1) ***Palmerston to Earl Granville,*** 16 ***August*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 297-298.

[٢] إياد تركان إبراهيم الدليمي، **اللُّورد هِنري جُون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجيَّة البريطانيَّة ١٨٣٠-١٨٦٥م** (بغداد: رسالة دكتوراة، كلية التربيَّة، الجامعة المُستنصريَّة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م): ١١٥-١١٦.

[٣] هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد مُحمَّد علي:** ٢٠٠.

والده يعلمه بضرورة التَّريث في الأمر لحين ردّ وزراء الدَّوْلة وسُفراء القوى الكبرى على مطالبه، وأنَّ زحف الجيوش مُخالف لما قطعوه من وعود للدُّول الأوروبيَّة، وفي رسالة أُخرى طلب ترك أمر عزل خسرو باشا من الصَّدارة العظمى، وضرورة التَّرْكيز على تحقيق هدفه المنشود، وأبدى إبراهيم باشا قلقه من أهالي الشام في حالة زحفه على الأناضول وخشيته من ثورتهم إذا ما ظهرت أساطيل الأوروبيَّة على سواحل الشَّام[١].

وهكذا أوضح إبراهيم لأبيه حقيقة الأمر في الشام وبيَّن خطورة الزحف نحو الأناضول لما يمكن أن يمتخض عنه من نتائج كارثية، وأنصت الباشا لتوجيهات ابنه ولم يتسرَّع باستصدار أوامر الزَّحف[٢]، ومن ناحية أخرى اقتنع مُحمَّد علي بما أبداه إبراهيم باشا، وحاول أن يتَّفق مع الباب العالي على إجراء تسوية مُباشرة بعيدًا عن تدخُّل القوى الأوروبية، فقام الباشا برفع رسالة إلى خسرو باشا في (٢٢ رجب ١٢٥٥هـ/ أولّ أكتوبر ١٨٣٩م) تطرَّق فيها إلى تسليم الأسطول العثماني، مُقابل تحقيق مطالبه السَّابقة في حكم مصر والشام والحجاز وكريت، وتجنَّب الإشارة إلى موضوع تنحي الصَّدر الأعظم من منصبه، الذي طالما كرره في مراسلاته السَّابقة معه، لكِنَّ هذه المحاولات لقيت مُقاومة شديدة من بونسونبي السَّفير البريطاني في الآستانة، ومصطفى رشيد باشا الذي تولَّى منصب وزير الشُّؤون الخارجية للدَّوْلة العثمانيَّة، وكلاهما تعاونا ضد مُحمَّد علي لإفشال تطلُّعاته[٣].

---

[١] **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٧٧، مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، بتاريخ (٥ جُمادى الآخرة ١٢٥٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٣٩م)؛ محفظة (٢٥٨)، رَقْم ٥٠، ٥٣، إبراهيم باشا إلى مُحمَّد علي (٢٤ جُمادى الآخرة ١٢٥٥هـ/ ٣ سبتمبر ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٨٥، ٢٠٩، ٢١٠-٢١١.

[٢] مُحمَّد عبد الله فوزي الجنايني، **القائد إبراهيم باشا والمشروع النهضوي المصري ١٨٠٧-١٨٤٨م**، تقديم: لطيفة مُحمَّد سالم (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م): ٣٧٢-٣٧٤.

[٣] مُحمَّد صبري السُّوربوني، **الإمبراطوريَّة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي**، ج. ٢: ٢٦٤-٢٦٥.

تاسعًا- أوضاع الأسطول العثماني في الإسكندرية.

أظهر مُحمَّد علي اهتمامًا بالغًا بالأسطول العثماني وقادته وضابطه وطاقمه منذ لحظة وصوله إلى الإسكندرية، وتجلَّى هذا في الاحتفال الرَّسْمي الذي استقبل به أحمد فوزي باشا وكبار قادته، واهتمام الباشا بلقاء الضباط والبحَّارة ليشرح لهم موقفه من السُّلطان عبد المجيد وسعيه إلى النُّهوض بالدَّولة العثمانيَّة، وهدفه من ذلك إقناعهم أنَّ قضيتهم واحدة ضد خسرو باشا.

وسادت حالة من الهدوء في الإسكندريَّة؛ لأنَّ إقامة الأسطول العثماني لم تُسبِّب أيَّة مشاكل لمُحمَّد علي؛ لأنَّ لديهم مُؤنًا تكفي لمُدَّة ستة أشهر، ودُفِعَتْ رواتبهم مُقدَّمًا لمُدَّة ثلاثة أشهر، ويكتفي الباشا بإرسال اللَّحم والخُبز لهم، والضُّباط والبحَّارة يطوفون بحُريَّة تامَّة في شوارع الإسكندريَّة، وقد ارتدى القبودان باشي وكِبار القادة الزيّ المصري، وحماية للأسطول وخشية من أي هجوم مفاجئ، فقد أدخله كاملًا إلى الميناء الغربي، بينما أبقى أسطوله في الخارج[١].

وسعى مُحمَّد علي للاستفادة من وجود شخصية أحمد فوزي باشا واستغلاله في تحقيق أغراضه بكُلِّ الطُّرق، وفي سبيل تحقيق ذلك فقد أبدى اهتمامه المتزايد به، وأمر بإنزاله في بيت صهره مُحَرَّم بك برمل الإسكندرية، ورتَّب له مُرتبًا شهريًّا قدره عشرون ألف قرش[٢]، كما أصدر الباشا أمرًا إلى بوغوص بك بالإنعام على حرم القبودان باشي في الآستانة بمبلغ خمسة وأربعين ألف قرش كُلّ ثلاثة أشهر[٣]، وكذلك أنعم الباشا

---

(1) ***M. Cochelet à Son Excellence Monsieur le Maréchal, Duc de Dalmatie, Président du Conseil, Ministre des Affaires Étrangère, Alexandrie, le*** 26 ***juillet*** 1839***. Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841, Tome I:*** 184-187.

(٢) مُحمَّد عارف باشا، **عِبر البشر في القرن الثَّالث عشر**، ج.١ (القاهرة: د. ن، د. ط، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م): ٦٦.

(٣) **عابدين تركي**، دفتر ٢١٤، رَقْم ٢٢٣، مُحمَّد علي إلى بوغوص بك، بتاريخ (١٩ شوَّال ١٢٥٥هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨٣٩م)، ورَقْم ٤٣١، بتاريخ (١٨ جُمادى الأولى ١٢٥٦هـ/ ١٧ يوليو ١٨٤٠م). نقلًا عن: نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ٢٨٠، ٤١٥.

على حرم شريف آغا – كَتْخُدَا البحرية – الموجودة في الآستانة بمبلغ خمسة آلاف قرش شهريًّا[١].

ولمَّا عزم أحمد فوزي السَّفر إلى القاهرة، صدر أمرٌ من مُحمَّد علي إلى عبَّاس باشا في (غاية جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٠ أغسطس ١٨٣٩م) ليُعيِّن مُدير البحيرة تشريفاتي له، وشدَّد على ضرورة استقباله باعتناء في مراسم رسميَّة عند وصوله، وتجهيز قصر إبراهيم باشا ليُقِيم فيه، وعقب استراحته يذهب لزيارته أولاده وأحفاده والأمراء والذَّوات بملابسَ رسميةٍ، وحذَّر من وقوع أي تقصير فيما أمر به[٢].

وحاول محُمَّد علي التَّقريب بين أحمد فوزي وإبراهيم باشا؛ لأنَّه بلغه أنَّ إبراهيم باشا لم يعجبه قبول الأسطول العثماني، ولم يستطع أن يظهر له حقيقة ما يدور في نفسه[٣]؛ ولذلك يتَّضح أنَّ الباشا قد حاول أن يُقرِّب بينهما فأوحى إلى فوزي باشا بأن يرفع كتابًا إلى إبراهيم باشا ليطلعه على الأوضاع الواقعة في إسطنبول، ويشرح له الظُّروف التي اضطرته إلى التَّعاون مع والده، ويرجوه العمل جاهدًا لإنقاذ الدَّوْلة العثمانيَّة من مفاسد خسرو باشا ومُعاونيه[٤]، وجاء رَّد إبراهيم باشا على القبودان باشي برسالةٍ فيها تهنئته بسلامة وصوله إلى الإسكندرية، وقد كان في نفسه شيء تجاهه؛ لأنَّ ردَّه لم يأتِ إلَّا تنفيذًا لرغبة والده[٥].

---

[١] **عابدين تركي**، دفتر ٢١٤، رقم ٣٢٦، مُحمَّد علي باشا إلى بوغوص بك، بتاريخ (٢٩ شوَّال ١٢٥٥هـ/ ٤ يناير ١٨٤٠م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ٢٨٢.

[٢] أمر من مُحمَّد علي إلى كَتْخُدَا خديوي (غاية جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٠ أغسطس ١٨٣٩م)، **الأوامر والمُكاتبات**، ج. ٢: ٣٤٧؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢: ٤٩٩.

[٣] حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر: تكملة الجبرتي**، ج. ١: ١٠٧.

[٤] **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٨٤، قبودان باشا إلى إبراهيم باشا، بتاريخ (١١ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٦٣.

[٥] **عابدين تركي**، محفظة (٢٥٧)، رَقْم ٢٠٠، إبراهيم باشا إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (٢٠ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ٣١ يوليو ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٧٤.

ومن ناحية أخرى طلب مُحمَّد علي من فوزي باشا رفع الرَّسائل إلى والدة السُّلطان ليؤكِّد على عُبوديته وولاءه وإخلاصه للسُّلطان عبد المجيد، وقد بيَّن دوافع خروجه على خسرو باشا، وقدومه بالأسطول إلى الإسكندرية، وتبع ذلك برسالة أخرى يبدى أسفه لغضب السُّلطان عليه، ويؤكد على ولائه له، ويذكر أنَّ انضمامه إلى مُحمَّد علي إنَّما كان رغبة منه في إصلاح الدَّوْلة وتقوية أسطولها(١).

كان اهتمام مُحمَّد علي بالأسطول العثماني وقادته نابعًا من رغبته استغلاله لتحقيق مطالبه من الباب العالي بصورةٍ سريعةٍ، ولكِن حدث ما لم يكن في الحسبان، لأنَّ بقاء الأسطول لمُدَّة طويلة صار عبئًا على الباشا، وبعد أن كان حدثًا مُهِمًا له، أصبح يسبب له كثيرًا من المشاكل والمتاعب، وتجلَّى ذلك في تقارير قناصل النمسا، وبريطانيا، وبروسيا، ففي أحد التَّقارير الواردة من الإسكندريَّة في (١٨ رجب ١٢٥٥هـ/ ٢٦ سبتمبر ١٨٣٩م)، أنَّ الجنود يُطالبون برواتبهم المتأخّرة، ورغم ذلك ظلَّ الباشا يقول إنَّه سيبقي على الأسطول العثماني حتَّى يتحقق السَّلام بينه وبين الدولة، وقد بدأت عَلاقاته مع أحمد فوزي باشا، يشوبها نوعٌ من التَّوتُّر، حتَّى إنَّ الأخير ترك القصر المُخصَّص لإقامته، وفضَّل الاستقرار فوق سفينته(٢).

وعلى ذلك يمكن القول: إنَّ مُحمَّد علي كان يأمل أن تنتهي الأزمة بينه وبين الباب العالي في فترةٍ قليلةٍ، فلمَّا طالت بدأت مشاكل الأسطول العثماني تلقي بظلالها، وبخاصَّة أنَّ رواتب قادته وطاقمه – كما ذُكِرَ آنفًا – قد حصلوا عليها مُقدَّمًا من الدَّوْلة قبل قُدومهم إلى الإسكندريَّة وكانت تكفيهم ثلاثة أشهر، وحينما قاربت المُدَّة على الانتهاء، سوف يصبح عليه التكفُّل بدفع رواتبهم من الخزينة المصريَّة؛ ولذلك أضحت رغبته قائمة على إعادة الأسطول إلى الدَّوْلة في أسرع وقتٍ.

---

(١) **عابدين تركي**، دفتر (٦)، رَقْم ١٩٣، ٢٢٧، أحمد قبودان إلى والدة السُّلطان، بتاريخي (٢٧ جُمادى الأولى، ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ/ ٧ أغسطس، ٦ سبتمبر ١٨٣٩م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ١٨٠، ٢١١.

(2) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 8 ***Oct.*** 1839.***Extract of Reports from Alexandria,*** 26 ***Sept.*** 1839. ***C.R.A.L, vol.*** 1*:* 491-492.

واضطر مُحمَّد علي في (غُرَّة رمضان ١٢٥٥هـ/ سابع نوفمبر ١٨٣٩م) إلى صرف رواتب قادة الأسطول العثماني وطاقمه من خزينة مصر؛ الأمر الذي مثَّل ضغطًا على خزينته، وزاد من أزمته الماليَّة[١]، ولذلك بدأ يطرق الأبواب لإيجاد مخرج مع الباب العالي دون تدخُّل من الدُّول الأوروبيَّة.

وعَلِمَ أحمد فوزي أنَّ مُحمَّد علي يرغب في الصُّلح مع خسرو باشا، وفي هذه الحال فسوف يكون مصيره التَّقاعد والإقامة في مصر أو مكة المكرمة، ورغم أنَّ مُحمَّد علي كان ما يزال على عهده الذي قطعه معه، لكِنَّه لم يَعُدْ يلتقي به إلَّا قليلًا، على عكس الحال قَبْل، ولم يَعُدْ يُشاركه في خططه ولا يُطلعه على أيَّة أخبار مُهِمَّة، مِمَّا حدا فوزي باشا إلى التوجُّه للقنصليات الأوروبية لمعرفة أخبار الآستانة وأوروبا. ويمكن أن نطَّلع على حالة التَّرقُّب التي سادت بين قادة الأسطول وضُبَّاطه عندما حضرت سفينة بخارية من إسطنبول تحمل كامل باشا مندوب الباب العالي[٢] لإيصال فرمان خط شريف كلخانة[٣]؛ فقد تجمَّع الضُّباط من جميع الرُّتب حولها لمعرفة الأخبار، لعلَّها تكون حاملة أنباء عقد الصُّلح بين الباشا والباب العالي، ووجدوا الأمر عكس توقعهم، وكانوا حينئذٍ قد ضاقوا ذرعًا ونفد صبرهم نتيجة بعدهم عن أسرهم[٤].

وسعى مُحمَّد علي إلى استغلال وجود هذا المبعوث السُّلطاني حتَّى يبين حسن نيته للدولة، ويُحاول عقد تسوية مباشرة مع الباب العالي، وحاول لفت نظرهم إلى

---

(1) ***M. Wagner, Prussian Consul at Alexandria, to Count Kœnigsmarck, Alexandrie, le*** 26 ***Novembre, N.S.,*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 553-554**.**

(٢) أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه**، مج. ٦: ٦٧-٦٨.

(٣) **خط شريف كلخانة:** فرمان من وسائل إصلاح الدَّوْلة العثمانيَّة وتجديدها، صدر في (٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/ ٣ نوفمبر ١٨٥٥م) في قصر كلخانة، بسعي من وزير خارجيتها مصطفى رشيد باشا، وبحضور الوزراء والعلماء والسُّفراء الأجانب، واشتمل على مبادئ كثيرة للإصلاح، وذلك ليضمن مُساندة القوى الكبرى للسُّلطان العثماني في نزاعه مع مُحمَّد علي. يُنْظَرُ: عُمر عبد العزيز عُمر، **مُحاضرات في تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة** (الإسكندريَّة: دارُ المعرفة الجامعيَّة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م): ٨٠-٨٤.

(4) ***M. de Laurin to the Baron de Stürmer, Alexandrie, le*** 17 ***Novembre*** 1839**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 554-555**.**

حقيقة الأهداف الأوروبية وأطماعهم في الدَّوْلة العثمانيَّة[١]، وذكر أنَّه كان ينوي مُرافقة الأسطول العثماني إلى مضيق البوسفور في بدايات الرَّبيع، لكي يشعر بالرضا عندما يُظهر للسُّلطان الشاب التَّعديلات التي أجراها في انضباط الأسطول؛ والدّقة الفائقة التي حقَّقوها في تطوراتهم[٢]. وقد قام كامل باشا بكتابة تقريرٍ عن مُهِمَّته، وأشار إلى التقائه أحمد فوزي، الذي ذكر له عدم ندمه على ما فعل بقدومه إلى الإسكندرية، ولكن من ناحية أخرى فإنَّ ضباط الأسطول العثماني ذكروا تعرُّضهم للخداع، وأنهم يريدون العودة في أقرب وقت ممكن إلى إسطنبول[٣].

وبينما كان الباشا يبعث رسائل الطمأنينة إلى الباب العالي، نجده يُقدم على تغيير الزي الرَّسْمي للبحريَّة العثمانيَّة، ففي (٢١ شوال ١٢٥٥هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٨٣٩م) أمر بتصنيع خمسة عشر ألف زي مصري للبحارة العثمانيين، وجميعهم موافقون على ذلك[٤]، وارتبط التَّغيير بدمج جميع أطقم البحريَّة العثمانيَّة والبحريَّة المصريَّة؛ حيث قام بنقل نصف الضباط والموظفين الفرعيين في الأسطول المصري إلى الأسطول العثماني، وكذلك العكس، وسوف يتبع ذلك الإجراء دمج الأطقم بمُجرَّد أن تكون الملابس المطلوبة جاهزة، والهدف المُعلن للباشا رغبته في تحقيق مزيدٍ من الوحدة في انضباط المُناورات، وأشاع مُحمَّد علي أنَّ هذا الأمر يتمُّ بناءً على طلب أحمد فوزي باشا، قبودان الأسطول، الذي رأى أن بحَّارة أسطوله سوف يستفيدون كثيرًا من التَّدريب والمناورات مع البحَّارة المصريين الذين يتميَّزون بالبراعة والخِفَّة[٥].

---

[١] مُحمَّد صبري السُّوربوني، **عهد مُحمَّد علي والمسألة الشرقيَّة**، ج. ٢: ٢٧٦.

[2] ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 12 ***January*** 1840 ***C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 611**.**

[3] ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 18 ***January*** 1840**,** ***Report of Kiamil Pasha. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 608-609**.**

[4] ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 27 ***December*** 1839**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 596**.**

[5] ***M. de Laurin to the Baron de Stürmer. M. le Baron, Alexandrie, le*** 28 ***Décembre,*** 1939**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 594-595**.**

ويرى شوفالييه دي لورين[١] ***Chevalier de Laurin*** أنَّ دوافع الباشا الحقيقية جاءت نتيجة ملاحظة وجود استياء بين بعض بحَّارة الأسطول العثماني، وصار المحتمل أن يحدث تمرُّد بينهم في حالة تأخُّر دفع الرَّواتب؛ لذلك سعى إلى منع الأمر قبل وقوعه بكافَّة أنواع الحيل، ومنها أنَّه جعل الأطقم يعتقدون أنَّ قضيته هي نفسها قضية السُّلطان الشَّاب؛ ولتحقيق هدفه هذا فقد شدَّد أوامره على الأسطولين بضرورة ذكر السُّلطان بمظاهر الخضوع والاحترام اللذين يستحقهما بصفته قائد الدَّوْلة والزَّعيم المشترك للوطن[٢].

ولكي يكسر الباشا الجليد الذي أصبح يغشى موقف بعض الضباط في الأسطول العثماني، فقام بعمل مأدبة عشاء يوم (٢٢ شوَّال ١٢٥٥هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٨٣٩م) للأسطولين العثماني والمصري على سفينة المحمودية، مقر قيادة أحمد فوزي، وأعدَّ ألف مائدة لكافة الرُّتب من الأسطولين[٣]، وأظهر مُحمَّد علي الولاء للسُّلطان أمام الضُّباط العثمانيين، وذكر أنَّه سيشعر بارتياحٍ كبيرٍ إذا تجدَّدت مُناسبات مُماثلة لترسيخ مشاعر السَّعادة المشتركة بينهم لأجل خير بلادهم[٤].

وأدَّت الإجراءات التي اتَّخذها مُحمَّد علي إلى قلق لدى القوى الأوروبيَّة، ولذلك ففي صباح اليوم التالي قام القنصلان العامان النمساوي والروسي بزيارة الباشا في قصره، وسألاه عن هدفه من وضع عددٍ متساوٍ من الضُّباط المصريين والأتراك على متن الأسطول العثماني، فقال: إنَّه فعل ذلك بناءً على طلب أحمد فوزي قبودان باشي والأميرالين الآخرين الذين لمسوا تفوُّق الأسطول المصري في الانضباط والمناورة، فرأوا تطبيق النظام لديهم؛ لوضع الأسطولين على قدم المساواة والكفاءة[٥].

---

[١] قنصل النمسا العام في الإسكندريَّة.

[2] ***M. de Laurin to the Baron de Stürmer. M. le Baron, Alexandrie, le*** 28 ***Décembre,*** 1939***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 594-595.

[3] ***Ibid.***

[4] ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 30 ***December*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 599-600.

[5] ***Ibid.***

واستفسر القنصل النمساوي من مُحمَّد علي عن هدفه من تغيير الزي الرَّسمي للبحارة العثمانيين، فقال له الباشا: "لقد لجأت إلى هذا الإجراء أيضًا بناءً على اقتراح قبودان باشي، وأنا أعلم أنَّه سوف يحظى بشعبيةٍ كبيرةٍ بين البحَّارة أنفسهم الذين هم حريصون ومُستعدُّون لتغيير زي سكان موسكو إلى زي الأتراك". فأجاب دي لورين: "لكن كُلَّ هذا لا يتطابق مع تأكيداتك بأنَّك احتجزت الأسطول العثماني لفترةٍ من الوقت، دون اعتبارهم جُزءًا من قواتك الخاصَّة". فأجاب مُحمَّد علي: "إنَّه أمر طبيعي وعادل؛ سوف أتخلَّى عن الأسطول العثماني بمُجَرَّد تسوية الخِلافات بيني وبين الباب العالي، وفي هذه الأثناء إذا تعرَّضت لهجومٍ من قِبَل أيَّة قوَّة أجنبية؛ فسوف أستخدمه كوسيلة للدفاعٍ؛ وهو ما يُبَرِّره موقفي الحالي تمامًا"[١].

واجتمع مُحمَّد علي مع ضباط الأسطول العثماني وطاقمه، وحذَّرهم من مزاعم الدَّعْم من القوى الكبرى، وبخاصَّة بريطانيا، التي تسعى إلى فرض نفوذها على الدولة لخدمة مصالحها، وأنَّ السُّلطان ما يزال تحت سيطرة أعدائه، لكنَّه سيسعى إلى إنقاذه وإبقاء عرشه، وإذا شنَّت القوى الأوروبية الهجوم عليه في الإسكندرية فإنَّه سوف يصد عدوانهم، وعندئذٍ سيوحد الأسطولين ويخوض معركة مع الأساطيل الغازية، وسوف يتبعه بالهجوم على بلدان هذه الدُّول! ويضيف هودجز في تقريريه أنَّ مُحمَّد علي نجح في إضعاف معنويات قادة الأسطول العثماني، وأصبح تأثيره على ضباط الأسطول وجنوده أكثر من ذي قبل، وأضاف أنَّ الضباط العثمانيين ارتدوا جميعًا الزيّ المصري، ولاحقًا سوف يرتديه بقية أطقم الأسطول، وأنَّ الباشا يدربهم بانتظام على البنادق، ويحرص على إظهار هذه القوَّة من خلال السَّيْر بها عبر شوارع الإسكندرية من الترسانة إلى ساحة التَّدريب خارج الأسوار[٢].

وعمل بالمرستون على مُقاومة كُلِّ الجهود التي يقوم بها مُحمَّد علي لمنع أي اضطراب داخل الأسطول العثماني؛ فقد أصدر تعليماته إلى قنصله في الإسكندرية

---

(1) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 30 ***December*** 1839***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 599-600**.**

(2) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 14 ***January*** 1840**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 611-613**.**

بضرورة اغتنام كُلّ فرصة لإيضاح الحقائق إلى ضُبَّاط الأسطول العثماني أن بريطانيا والقوى الكبرى هدفها الرَّئيس المحافظة على الأسطول العثماني وإعادته، واستقلال الدَّوْلة العثمانيَّة في حكامها من آل عثمان، ويوضِّح لهم أنَّ لجوءَهم إلى الإسكندرية ألحق أضرارًا جسيمة في الدَّوْلة العثمانيَّة وأضعفها، ويجب عليهم السَّعي واستغلال كُلّ الفرص للعودة بالأسطول إلى الآستانة والالتفاف حول سلطانهم وحمايته وعرشه(١).

وفي خطوة من الدَّوْلة العثمانيَّة لإنزال العقاب بأحمد فوزي باشا، فقد صدر فرمان في (ذو الحجة ١٢٥٥هـ/ فبراير ١٨٤٠م) يقضي بعزل القبودان باشي من منصبه، وتعيين الأميرال مصطفى باشا في منصب قائمقام، وأرسل خسرو باشا إلى مُحمَّد علي بصورة الفرمان، وطلب قراءته علنًا على ضُبَّاط الأسطول العثماني وطاقمه. وقد أغضب هذا الأمر الباشا، وأعدَّه إهانة مباشرة له(٢)، وقد أبلغ ابنه إبراهيم باشا بأمر عزل القبودان؛ فطلب أن يتم إرساله إلى الشَّام للتَّعاون معه في حروبه(٣).

وتجدر الإشارة أنَّ بالمرستون نجح في عقد تقارب مع روسيا، وبروسيا، والنمسا، واجتمعوا في لندن، وضموا مندوب الدَّوْلة العثمانيَّة ليحضر الجلسات المُنعقدة للوصول إلى قرارٍ نهائي بشأن الباشا(٤)، ولمَّا ترامت أنباء ذلك إلى مُحمَّد علي أسرع لأخذ حيطته لمواجهة الخطر المُتوقَّع؛ فقام بإنشاء لواءين رديف من الإسكندرية، ولواء من عمال الترسانة، وشرع في تجنيد العساكر من عمال المصانع، وتنظيم طوابي المدينة، وتعبئة مدافعها، واستدعاء لواء المدفعية المرابط في القاهرة، وأوصى بإحضار البنادق والمعدات الأخرى إلى لوائي الرَّديف، واستقدم إلى الوجه البحري ثلاثة ألوية فرسان من الوجه القبلي(٥).

---

(1) ***Viscount Palmerston to Colonel Hodges Foreign Office,*** 25 ***February*** 1840***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 619-620**.**

(2) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 12 ***February*** 1840***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 638-639**.**

(٣) **عابدين تركي**، محفظة (٢٨٥)، رَقْم ٢٦٤، إبراهيم باشا إلى مُحمَّد علي، بتاريخ (١٣ ذو الحجة ١٢٥٥هـ/ ١٦ فبراير ١٨٤٠م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ٢٨٩.

(٤) مُحمَّد صبري السُّوربوني، **عهد مُحمَّد علي والمسألة الشرقيَّة**، ج. ٢: ٢٧٧-٢٧٨.

(٥) **عابدين تركي**، دفتر (٢١٤) رَقْم ٣٣٦، مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، بتاريخ (١١ ذو القعدة ١٢٥٥هـ/ ١٥ يناير ١٨٤٠م)؛ رَقْم ٣٥٥، من مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا بتاريخ (١٤ ذو

وخشية من تعرُّض الأسطولين في الإسكندرية للتَّخريب من القوى الأوروبيَّة؛ أمر الباشا بأن تصف السُّفن على مسافات مناسبة حتَّى إذا تعرَّضت واحدة للاحتراق أو التَّخريب فيمكن إزالتها بسهولة دون أن تؤثر على بقية السفن، وأصدر أمره بتشكيل ستة ألوية من أطقم السُّفن ومشاة البحريَّة من الأسطولين للدفاع عن السَّاحل من رشيد مرورًا بالإسكندرية حتَّى برج العرب، والتقى الباشا بقادة الأسطول فأخبروه أنَّهم مُستعدُّون للتَّحالف معه لقتال الأوربيين، ولكِنَّهم لن يحملوا السِّلاح ضد سُلطانهم(١).

وفي (٢٨ المُحرَّم ١٢٥٦هـ/ ٣١ مارس ١٨٤٠م) التقى القنصل البريطاني هودجز بمُحمَّد علي في قصره بالإسكندريَّة، وسأله عمَّا ينوي فعله بالأسطول العثماني، فأجاب أنَّه سيحتفظ به حتَّى تحلّ خلافاته مع الباب العالي، وعندئذٍ سوف يعيده إلى السُّلطان، فقال القنصل: لو كان ضُبَّاط الأسطول العثماني يعرفون واجبهم تجاه دينهم وتجاه السُّلطان لعادوا أدراجهم بسفنهم إلى إسطنبول، ثُمَّ ذكر للباشا بوجود أوامر من حكومته لتقديم النُّصح لهم للعودة بالأسطول، وقد أغضب هذا الكلام مُحمَّد علي فقام من ديوانه، وحذَّره بأنَّه إذا شاهد أي انشقاق في الأسطول، فسوف يُطلق النار على المُخالفين. وقد رفع القنصل تقريرًا عن هذا إلى بالمرستون، واعتذر عن تنفيذ التَّعليمات الصَّادرة بشأن التَّعامل مع ضُبَّاط الأسطول العثماني؛ لأنَّ ذلك قد يترتَّب عليه أخطار كبيرة على حياة هؤلاء الضباط(٢).

وفي خضم هذه الأحداث قام السُّلطان عبد المجيد الأوَّل في (٢٨ ربيع الأوَّل ١٢٥٦هـ/ ٢٩ مايو ١٨٤٠م) بعزل خسرو باشا من الصَّدارة العظمى، وولي مُحمَّد رؤوف باشا، وقيل إنَّ عزله يرجع إلى مُعارضته التنظيمات الخيريَّة وميله إلى القوانين الاستبدادية، وتقاضيه الرِّشوة؛ ولذلك نُفِيَ ووُضِعَ قيد الإقامة الجبريَّة(٣).

الحجة ١٢٥٥هـ/ ١٧ فبراير ١٨٤٠م). نقلًا عن: أسد رُستم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج.٤: ٢٨٥-٢٨٦، ٢٩٠؛ **الأوامر والمكاتبات**، ج. ٢: ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨.

(1) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 21 ***February*** 1840***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 639-641.

(2) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 31 ***March*** 1840***. C.R.A.L, vol.*** 1***:*** 669-671.

(٣) أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه**، مج. ٦: ١٠٦-١٠٧.

ووجد مُحمَّد علي الفرصة مواتية لعقد اتفاق مباشرٍ مع الدَّوْلة دون تدخُّل من القوى الأوربية لإعادة الأسطول العثماني؛ ولذلك دخل في اتصالات سرية مع والدة السُّلطان بدعم من السَّفير الفرنسي، وأرسل مندوبه سامي بك في (١٦ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ/ ١٦ يونية ١٨٤٠م) إلى إسطنبول وكانت حجته الظَّاهرة رغبته في رفع التَّهاني بمناسبة ميلاد كريمة السُّلطان وتقديم هدية تذكر بهذه المناسبة، وهي إعادة الأسطول العثماني برفقة ابنه سعيد بك إلى إسطنبول[١]، وعندما وصل سامي بك قدَّم هدية لابنة السلطان وهي مليون قرش تركي، والتقى مصطفى رشيد باشا، وقد سأل عن الأسطول فأجاب سامي بك أنَّ الباشا ينوي إرسال الأسطول إلى إسطنبول تحت قيادة أحمد فوزي باشا أو ابنه سعيد بك، فأخبره رشيد باشا أنَّ فوزي باشا متهم بالخيانة العظمي، ولن يوافق الباب العالي على عودته إلى إسطنبول أبدًا، وحاول أن يظهر عدم اهتمامه بأمر الأسطول لأنَّ الباب العالي يعدّه أمرًا ثانويًّا[٢].

ولكِنَّ مصطفى رشيد باشا، وزير الشئون الخارجية، طلب من سامي بك بطريقةٍ غير مباشرة عودة الأسطول العثماني من الإسكندرية، فقد أخبره قبل أن يودّعه أنَّه يأمل في رؤيته مرَّة أخرى مع سعيد بك – ابن مُحمَّد علي وأميرال الأسطول المصري – ولكن سامي بك رد بأنَّ مُهِمَّته قد انتهت عند هذا الحدّ[٣].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ جون بونسونبي السفير البريطاني عَمِلَ جاهدًا إلى إفشال هذه المُفاوضات القائمة[٤]، وأخبر مصطفى رشيد باشا أنَّ مُحمَّد علي غير صادق في أمر إعادة الأسطول، وأنَّه قام بتغييرات واسعة في قيادة الأسطول العثماني،

---

(1) ***Colonel Hodges to Viscount Palmerston, Alexandria,*** 16**,** 17 ***June*** 1840**.** ***C.R.A.L, vol.*** 1**:** 710-712**,** 718-719**.**

(2) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 12 ***July*** 1840**.** ***C.R.A.L, vol. II.*** 48-49**.**

(٣) كارولين جوتييه كورخان، **العَلاقات المِصريَّة الفَرنسيَّة في عهد مُحمَّد علي ١٨٠٥–١٨٤٩م**، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهَّاب، مراجعة وتقديم: مجدي عبد الحافظ (القاهرة: المركز القومي للتَّرجمة، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م): ٣٠٣–٣٠٤.

(4) ***John Richard Hall, England and the Orleans Monarchy (London: Smith, Elder & Co.,*** 1912***):*** 272-273**.**

وإذا رجع الأسطول تحت قيادة ابنه سعيد بك إلى إسطنبول فمن الممكن أن يستخدمه ضدّ الباب العالي وينضمّ إليه المعارضون، فيُصبح المُتحكِّم الرَّئيس في كُلّ شيء[١].

وخشيت بريطانيا من وقوع اتفاق بين السُّلطان والباشا؛ لذلك أسرعت مع الدُّول المجتمعة في لندن لإنهاء مُهمتهم التي استمرَّت وقتًا طويلًا، فأصدروا قرارهم في اتفاقية لندن بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٤٠م، والتي نصَّت على إخضاع مُحمَّد علي، ومنحه حكم ولاية مصر وراثيًّا، وحكم ولاية عكا مُدَّة حياته إذا استسلم في عشرة أيَّام، وإذا انقضت المُهْلة دُون ردّه؛ فتمنح له ولاية مصر فقط حكمًا وراثيًّا[٢].

وورد في مُلحق الاتفاقية أن يقوم مُحمَّد علي بتسليم الأسطول العثماني بكامل قوَّاته ومُعدَّاته، وأن يتحمَّل كافَّة المصروفات التي أُنفقت على الأسطول أثناء وجوده في الإسكندرية، وألَّا يقتطع أي جزء من الأموال التي يتعيَّن عليه أن يدفعها إلى السُّلطان مُقابل أي نفقات أنفقها على الأسطول العثماني[٣]؛ وقد وافق مصطفى رشيد باشا على بنود الاتفاقية كاملة؛ لأنَّها حقَّقت نصرًا دبلوماسيًّا كبيرًا للدَّوْلة العثمانيَّة[٤].

وأرسل الباب العالي صادق رفعت أفندي مستشار وزارة الخارجية إلى مصر لإعلان مُحمَّد علي باسم السُّلطان، بقرارات اتفاقية لندن، واستقبله الباشا وكذلك قناصل الدُّول الأربع، وعرضوا عليه ما انتهى إليه المؤتمرون، وقد غضب مُحمَّد علي غضبًا شديدًا، وترك المُهلة المُحدَّدة تمرّ وتنقضي دون أن يُحرِّك ساكنًا[٥]؛ وكان على الباشا حينئذٍ أن ينتظر ما لا قِبَل له به، ولا قدرة له عليه من القوى المتحالفة.

---

(1) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 22 ***July*** 1840***. C.R.A.L, vol. II.*** 78-80.

(٢) فيليب يوسف جلَّاد، **قاموس الإدارة والقضاء**، مج. ٤ (الإسكندرية: د. ن، ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م): ٦٦٦-٦٦٧.

(3) ***Charles Napier, The War in Syria, vol. I (London: Harrison and Co., Printers,*** 1842***):*** 295-296.

جميل خانكي، **أُمراء البحار في الأسطول المصري في النصف الأوَّل من القرن التَّاسع عشر** (القاهرة: مُؤسَّسة هنداوي، ط ٢، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م): ٧١-٧٢.

(٤) يلماز أوزتونا، **تاريخ الدَّوْلة العثمانيَّة**، مج. ٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري (إستانبول: مؤسَّسة فيصل للتَّمْويل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م): ٣٦.

(٥) رينيه قطاوي وجورج قطاوي، **مُحمَّد علي وأوروبا**: ١٦٦-١٦٧.

وقد رفض بعض قادة الأسطول العثماني التَّعاون مع مُحمَّد علي في حروبه؛ ولذلك قام بالقبض على سبعةِ ضباط منهم ووضعهم في زنزانات أبو قير، بينما سجن ما يزيد عن عشرين ضابطًا آخرين في التَّرسانة[١]، وقام بطرد بعض الضباط العثمانيين وتعيين ضباط مصرين محلَّهم، ودَمج جنود الأسطولين معًا، وعزم على إخراج الأسطولين إلى عرض البحر من أجل القضاء على السُّفن الحربيَّة للحلفاء أمام الإسكندرية وساحل الشام[٢]، وصُفَّت السُّفن الكبرى للأسطولين العثماني والمصري في خطوط على مسافات مناسبة لمنع انتقال النيران في حالة محاولة بعض العثمانيين الساخطين إضرام النار فيها[٣].

عاشرًا- إعادة الأسطول العثماني إلى السُّلطان ومصير قادته.

كان انقضاء المُدَّة دون أن يُرسل مُحمَّد علي ردَّه على الاتفاقية تأكيدًا على رفضه لها؛ ورغبة من بريطانيا في مزيد من الضَّغط عليه، بدأ أسطولها في قصف بيروت في (١٥ رجب ١٢٥٦هـ/ ١١ سبتمبر ١٨٤٠م)، وسعت إلى إذكاء نار الفتن وتأليب الأهالي للثَّورة ضد الحكم المصري وأمدُّوهم بالسّلاح[٤]، ثُمَّ تبع ذلك قيام الباب العالي في (١٨ رجب/ ١٤ سبتمبر) بعزل مُحمَّد علي، وبدأت الإجراءات لحصار السَّواحل المصرية والشاميَّة، وفي أعقابها انسحب من الإسكندرية قناصل بريطانيا، والنمسا، وروسيا وبروسيا؛ فأصدر الباشا قرارًا بطرد وكلاء القناصل من البلدان التَّابعة لحكمه[٥].

---

(1) ***Mr. Alison to Viscount Ponsonby, Alexandria,*** 26 ***August*** 1840. ***C.R.A.L, vol. II:*** 210.

(٢) **عابدين تركي**، دفتر (٢١٤)، رَقْم ٤٩٨، مُحمَّد علي إلى إبراهيم باشا، تاريخ (٢٩ رجب ١٢٥٦هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٨٤٠م). نقلًا عن: أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة**، ج. ٤: ٤٦٢.

(3) ***Mr. Alison to Viscount Ponsonby, Alexandria,*** 26 ***August*** 1840. ***C.R.A.L, vol. II:*** 210.

(٤) عبد المُنعم إبراهيم الجميعي، **عصر مُحمَّد علي: دراسةٌ وثائقيَّةٌ** (القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، تاريخ المصريين ٢٤٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م): ٤٩٥-٤٩٦.

(٥) **الأوامر والمكاتبات**، ج. ٢: ٣٦٦.

وتتابعت الأحداث وسارت بوتيرةٍ سريعةٍ، وتلقَّت القوات المصريَّة في الشام هزائم مُتتالية، وسقطت المدن السَّاحليَّة الواحدة تلو الأخرى، واندلعت الثَّورات بطول البلاد وعرضها؛ فأيقن الباشا ألَّا مفرّ من أزمته إلَّا بتنفيذِ مطالب القوى المُتحالفة(١)، وفي تلك الفترة تقدَّم مترينخ باقتراح لإعادة الباب العالي تعيين مُحمَّد علي، وقد أيَّدته روسيا التي خَشِيَتْ من تزايد النُّفوذ البريطاني في المشرق؛ وأمام ضغط هذه الدُّول، وجَّه بالمرستون في (١٩ شعبان ١٢٥٦هـ/ ١٥ أكتوبر ١٨٤٠م) تعليمات جديدة إلى بونسونبي ليوصي الباب العالي بإعادة محمد علي إلى ولاية مصر بعد أن يُعلن طاعته ويُعيد الأسطول السُّلطاني ويسحب قوَّاته من الشام(٢).

وأرسلت قيادة الحلفاء الكومودور تشارلز نابيير(٣) ***Charles Napier*** إلى شواطئ الإسكندرية لإبلاغ مُحمَّد علي بالقرارات الجديدة، وتمخضَّ عن ذلك انعقاد اتفاق بين نابيير وبوغوص بك في (ثاني شوَّال ١٢٥٦هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٨٤٠م)، نصَّ على إعادة الأسطول العثماني للباب العالي وانسحاب القوات المصريَّة من الشَّام(٤).

وقام الباب العالي بتكليف ياور باشا الأدميرال ولكر Walker وكُلِّف بالقيادة العامَّة للأسطول، ومظلوم بك أحد موظفي الباب العالي الرئيسيين وعضو مجلس القضاء؛ للذهاب إلى الإسكندرية وتسلُّم الأسطول العثماني(٥)، واستفسر بونسونبي من ولكر عن الوقت الذي يستغرقه لإحضار الأسطول وتسليمه للسلطان فأجاب أنَّه بمُساعدة السُّفن البريطانية والبحَّارة، فسوف يتم نقله إلى جزيرة كريت في ثلاثة أسابيع،

---

(١) عبد الرَّحمن زكي، **التاريخ الحربي لعصر مُحمَّد علي الكبير** (القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م): ٥٢٣-٥٢٤.

(٢) أنينل ألكسندرو فنادولينا، **الإمبراطوريَّة العثمانيَّة وعَلاقاتها الدُّوليَّة: في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التَّاسع عشر**، ترجمة: أنور مُحمَّد إبراهيم (القاهرة: المجلس الأعلى للثَّقافة، المشروع القومي للتَّرجمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م): ١١٧-١١٨.

(٣) قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط.

(4) ***Charles Napier, The War in Syria, vol. I:*** 282.

(5) ***Rechid Pasha to Viscount Ponsonby, Sublime Porte,*** 27 ***December*** 1840. ***C.R.A.L, vol. II:*** 477.

ومنها ينقل إلى إسطنبول[١]، وأرسل الباب العالي إلى مُحمَّد علي يُعلِمه بأمر هذا التَّكليف، ويأمره بإرسال الأسطول العثماني بجميع ضُبَّاطه وأطقمه، وأسلحته وذخيرته، باستثناء عددٍ قليل من القادة المشهورين، رُفِضَ عودتهم[٢].

وفي (١٨ ذو القعدة ١٢٥٦هـ/ ١٠ يناير ١٨٤١م) وصل ولكر ومظلوم بك إلى الإسكندرية، وتمَّ استقبالهما بترحابٍ كبيرٍ، وفي صباح اليوم التَّالي تسلَّم ولكر قيادة الأسطول العثماني[٣]، ورَفَعَ علم السُّلطان على سفينة المحمودية، سفينة القيادة العامَّة للأسطول، وقد حيَّتها السُّفن العثمانية الرَّاسية في ثغر الإسكندرية[٤]، وبدأ الأميرال ولكر يُعدّ سفن الأسطول للإبحار بها، وقدَّم له مُحمَّد علي كُلّ المساعدات الممكنة له لإنهاء مهمته[٥]، وفي أعقاب ذلك وصلت إلى ميناء الإسكندرية السَّفينة العثمانيَّة طائر بحري آتية من إسطنبول، وعليها بعض الضبَّاط العثمانيين لتسلُّم وحدات أسطولهم[٦].

وفي (غُرَّة ذو الحجة ١٢٥٦هـ/ ٢٣ يناير ١٨٤١م) أبحر الأسطول العثماني بكامل وحداته مُتَّجِهًا إلى الآستانة[٧]، وأرسل مُحمَّد علي إلى الباب العالي يعلمه بإبحار الأسطول، ويعلن خضوعه وتبعيته للسُّلطان[٨]. وهكذا أبحر الأسطول العثماني إلى إسطنبول بعد أن ظلَّ قابعًا في ميناء الإسكندرية نحو سنة ونصف السنة، منذ (٤ جُمادى الأولى ١٢٥٥هـ/ ١٥ يوليو ١٨٣٩م) حتَّى (غُرَّة ذو الحجة ١٢٥٦هـ/ ٢٣ يناير ١٨٤١م).

---

(1) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 18 ***December*** 1840. ***C.R.A.L, vol. II:*** 462.

(2) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 3 ***January*** 1841. ***Reply of His Highness the Grand Vizier to Mehemet Ali. C.R.A.L, vol. II.*** 505-506.

(3) ***Admiral Walker to Admiral Stopford, H.M.S. Stromboli, Alexandria,*** 11 ***January*** 1841. ***C.R.A.L, vol. II:*** 501.

(٤) جميل خانكي، **تاريخ البحرية المصرية:** ٣١٤.

(5) ***Admiral Stopford to R. More O'Ferrall, Esq, "Princess Charlotte," Marmorice,*** 14 ***January*** 1841. ***C.R.A.L, vol. II:*** 497.

(٦) جميل خانكي، **تاريخ البحرية المصرية:** ٣١٤.

(٧) إسماعيل سرهنك، **حقائق الأخبار**، ج. ١: ٦٩١.

(8) ***Mehemet Ali to the Grand Vizier, Le*** 23 ***Janvier*** 1841. ***C.R.A.L, vol. II:*** 548.

وأصدر السُّلطان عبد المجيد عفوًا شاملًا عن قادة الأسطول وضباطه باستثناء بعضهم[١]، وهم القبودان أحمد فوزي باشا، وشريف آغا كَتْخُدَا القبودان، وعثمان بك ريالة القائد الثاني في الأسطول، حيث أعدَّتهم الدَّوْلة سبب البلاء الذي وقع بتسليمهم الأسطول العثماني، وسعى مُحمَّد علي للحصول على إذن من الباب العالي للسَّماح لهم باستقدام زوجاتهم وأبنائهم من الآستانة إلى الإسكندرية[٢].

وأنعم مُحمَّد عليّ باشا على أحمد فوزي باشا بأبعدية في مديرية البحيرة، ورتَّب له مُرتبًا شهريًّا قدره عشرون ألف قرش[٣]، وأعطاه دارًا واسعة في القاهرة بحديقة كبيرة[٤]، وقد رفع إلى السُّلطان مباشرة بخط يده يعلن عبوديته للسُّلطان، ويعدد أعماله التي خدم بها الدَّولة العلية، ويذكر أنَّه يعلم عظم جرمه واعترف بخطئه، ولكِنَّه تاب وأناب ويطلب العفو عنه[٥]، وبعد يومين رفع عثمان بك ريالة إلى السُّلطان للعفو عن فوزي باشا، وذكر أنَّه اعترف بخطئه، وأنَّ لديه أبناء يحتاجون إلى الاهتمام والرعاية بحاجة إلى المال[٦]، ولكِن رفض السُّلطان العفو، ووافق على بقائه في مصر[٧].

وساءت أوضاع فوزي باشا، وضاق ذرعًا من المصير الذي آل إليه، وبخاصَّة عندما احتاج إلى المال، وفوجئ باعتذار بوغوص بك عن دفع المُرتَّب لعدم وجود نقدية، ووعد بدفعه إليه عند وجود النقديَّة[٨]؛ ولمَّا يئس فوزي باشا من عفو الدَّوْلة عنه رفع إلى السُّلطان مرَّة يطلب صرف معاش لأولاده الأربعة رحمة بهم[٩].

---

(١) فيليب جلَّاد، **قاموس الإدارة والقضاء**، مج. ٤: ٦٧٢.

(2) ***Mehemet Ali to the Grand Vizier, Le*** 23 ***Janvier*** 1841. ***C.R.A.L, vol. II:*** 549.

(٣) مُحمَّد عارف باشا، **عِبر البشر في القرن الثَّالث عشر**، ج.١: ٦٦.

(4) ***Viscount Ponsonby to Viscount Palmerston, Therapia,*** 9 ***February*** 1841. ***C.R.A.L, vol. II.*** 554.

(٥) **الأرشيف العثماني**، ***I.MTZ (***05***).*** 10. 244. 1 أحمد فوزي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (٥ جُمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ٢٤ يونية ١٨٥٧م). ويُنْظَرُ مُلْحق رقم (٢).

(٦) **نفسه**، ***I.MTZ (***05***).*** 10. 244. 2 عثمان بك إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (٧ جُمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ٢٦ يونية ١٨٥٧م).

(٧) **نفسه**، ***I.MTZ (***05***).*** 10. 244. 3 رفض العفو السُّلطاني عن فوزي باشا، بدون تاريخ، ويبدو أنَّها في الشَّهر ذاته المذكور في الوثائق السَّابقة.

(٨) حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر: تكملة الجبرتي**، ج. ١: ١٠٧.

(٩) **الأرشيف العثماني**، ***I.MTZ (***05***).*** 10. 242. 3 أحمد فوزي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (١٠ شوَّال ١٢٥٧هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٤١م).

وروي عن فوزي باشا أنَّه أبدى أسفه في أواخر أيَّامه على قدومه بالأسطول العثماني إلى مصر، فقال:

«في السَّنَة التي وُلِدَ فيها مُحمَّد علي احترق الأسطول السُّلطاني أمام جِشمة (بلد في إزمير) وبينما كان ابنه واليًا في المُورة نُكِبَ الأسطول الهمايوني بالحريق أيضًا، ولكِن في هذه المرَّة نجا من هذا القضاء، ولكِن أنا الذي احترقت هذه الوقعة؛ لمناسبة كَوْني قبودان باشا، وقد استغفلتني شهرته، فبينما كُنت أرسو في الإسكندريَّة كُنت راقدًا رَقْدة الغفلة، وصحوت من رَقْدَتي، ولكِن بعد خراب البَصْرة»[١].

وظلَّ فوزي باشا مُقيمًا في الإسكندرية حتَّى وفاته عام (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م)، وقيل: إنَّ مُحمَّد علي أراد التخلُّص منه إرضاء للسُّلطان، ففي إحدى المرَّات دعاه زكي باشا حاكم الإسكندرية لوجود رسالة مُهِمَّة يُريد إبلاغها له، وقد التقاه في قصره، فقال له: سيّدي إنَّك تعرف أنَّ عالمنا هذا ما هو إلَّا مَمَرٌّ نعبر منه، وأنَّنا جميعًا نخضع لإرادة الله سبحانه وتعالى، فأجاب أحمد باشا: إنَّك على حقٍّ، ثُمَّ طلب سجادة وصلَّى، ثُمَّ أمر الحاكم بإحضار القهوة، وقدَّم قدحًا للقبودان، وفي صباح اليوم التَّالي أُذِيع خبر وفاته أثناء نومه بعد إصابته بنوبة قلبية[٢]، وقيل إنَّه لم يمت مسمومًا بل مات كمدًا من حزنه وقهره بسبب توالي التَّحقير والإهانة قولًا وفعلًا[٣].

ويبدو أنَّ اتهام مُحمَّد علي بالتَّخلُّص منه منافٍ للواقع، ففي (١٩ شعبان ١٢٨٥هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٨٤٢م) – أي قبيل أشهر من وفاة فوزي باشا – أرسل إلى السُّلطان العثماني مندوبًا يطلب العفو عن فوزي باشا، ويرجو أن تنظر الدَّوْلة بعين الرَّحمة والعطف لأولاده، ويذكر أنَّه أرسل توفيق بك أفندي لطلب العفو، وأرسل سامي

---

[١] مُحمَّد عارف باشا، **عِبر البشر في القرن الثَّالث عشر**، ج.١: ٦٥-٦٦.

[٢] **مذكرات نُوبار باشا**، مُقدِّمة ومُلاحظات: ميريت بُطرس غالي، ترجمة: جارو رُوبير طبقيان، مراجعة: إلهام ذُهني، تقديم ودراسة وتعليق: لطيفة مُحمَّد سالم (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م): ٧٠-٧١.

[٣] مُحمَّد عارف باشا، **عِبر البشر**، ج.١: ٦٥؛ حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر**، ج. ١: ١٠٧.

باشا مرَّتين، ويرجو العفو عنه، لأنَّ المذكور مقيمٌ منذ ثلاث سنوات، وهو دائم الدُّعاء للدَّولة العلِيَّة، ثم يتساءل هل الدَّوْلة لا تعفو عنه بسببي؟ وهل العفو يعيب الدَّولة؟ ولذلك يرجو أن يتم العفو عن فوزي باشا والصَّفح؛ لأنَّ من صفات الدولة العفو والرَّحمة[١]، ولكنَّ الأقدار لم تمهله، فقد توفي بعدها ودُفِنَ في الإسكندرية[٢].

والواقع أنَّ الدولة لم تغفر له حتى بعد وفاته، حيث صدر أمر بمصادرة وسام افتخار مُنح من قبل لفوزي باشا، وتسليمه إلى الضَّربخانة العامرة، وكان من المفترض أن يُترك لورثته، ولكن نتيجة خيانته تمَّت مصادرته[٣]، وقامت الدولة بإرسال موظف من قِبلها لحصر تركته في مصر[٤].

وأمَّا عثمان بك ريالة الذي كان سببًا رئيسًا في اتجاه الأسطول العثماني إلى مصر، فقد تقدَّم بالتماسات عديدة إلى السُّلطان والباب العالي للحصول على العفو عنه، حتى نجح في النهاية، وعاد مرَّة أخرى إلى إسطنبول، وتقلَّب في المناصب الإدارية حتَّى تقاعد وتوفي عام (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م)[٥].

وهكذا أُعِيد الأسطول العثماني إلى الدَّولة العثمانيَّة بجهود الدُّول الأوروبيَّة وعلى رأسها بريطانيا، ورفضت الدَّولة العفو عن قائد الأسطول فوزي باشا في حياته وبعد موته، رغم عفوها عن كُلّ مَن كان مشاركًا في الأسطول، وقد تركت الحادثة أثرًا بعيدًا على ولاية مصر، وبخاصة بعد أن تحوَّلت إلى ولاية وراثية في أسرة مُحمَّد علي.

---

[١] **الأرشيف العثماني**، *TSMA.E.*0693. 10 مُحمَّد علي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (١٩ شعبان ١٢٥٨هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٨٤٢م). ويُنْظَرُ مُلْحق رقم (٣).

[٢] حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر**، ج. ١: ١٠٧.

[٣] **الأرشيف العثماني**، *I.DH.* 73. 3631 مُصادرة نياشين فوزي باشا، بدون تاريخ.

[٤] **نفسه**، *I.MTZ (*05*).* 11. 278. 2 إعلام بوفاة فوزي باشا وأمر بحصر تركته، بدون تاريخ.

[٥] مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني**، ج. ٣: ٤٤٩.

خاتمةُ البحث ونتائجه

كانت حادثة قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية من الحوادث الخطيرة التي غيَّرت تاريخ مصر وأثَّر عليها على المديين القريب والبعيد، وكانت سببًا رئيسًا في تفاقم المسألة الشرقيَّة، وسعت القوى الكبرى الأوروبيَّة إلى التدخُّل لوضع حدّ للنّزاع القائم بين مُحمَّد علي والسُّلطان العثماني، والتي انتهت بتقويض إمبراطورية مُحمَّد علي واقتصاره على حكم مصر له ولأبنائه من بعده طبقًا لمبدأ الوراثة الذي وضع بضمان القوى الأوروبيَّة، ويمكن أن نخرج من البحث بعدَّة نتائج، ومنها:

اتَّضح إنَّ سبب قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية يكمن في الخِلافات القائمة بين قائده أحمد فوزي باشا ومُحمَّد خسرو باشا الذي تولَّى الصَّدارة العُظمي في عهد السُّلطان عبد المجيد الأوَّل، في أعقاب وفاة والده محمود الثَّاني، وقد أدَّت الشَّائعات دورها في تأجيج شقة البَيْن، وبخاصَّة الأخبار التي وصلت من إسطنبول إلى فوزي باشا، أثناء وجوده في الدَّرْدَنيل؛ التي تتعلَّق بالمذابح التي اقترفت ضد الأمراء، وخنق شيخ الإسلام، وتصرَّف القبودان بناء عليها، وقرَّر عدم العودة إلى إسطنبول خشية من عزله أو قتله على يد خسرو باشا أو وقوع الأسطول في قبضة روسيا.

تجلَّى أنَّ فوزي باشا لم يكن ينوي القدوم إلى الإسكندرية عندما خرج من الدَّرْدَنيل إلى جزيرة رودس، بل كان يسعى إلى الإقامة في موضعٍ متوسط بين إسطنبول والإسكندريَّة؛ حتَّى يستطيع التواصل مع مُحمَّد علي ليتعاون معه لإسقاط خسرو، من خلال اتحاد قُوَّاتهما ليزحفا عن طريق البر والبحر إلى إسطنبول.

تبيَّن أن التواطؤ أدَّى دورًا مهمًّا في عملية قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية، فقد نجح مُحمَّد علي عن طريق الهدايا والرَّشاوى في إيجاد بعض التَّابعين له في إسطنبول، وأشهرهم عثمان بك ريالة القائد الثَّاني في الأسطول، ووالده شريف آغا كَتْخُدَا القبودان، فالأوَّل نصح فوزي باشا بالتَّعاون مع مُحمَّد علي، وهو من وضع خطة الخروج من الدَّرْدَنيل إلى رودس، وهو الذي أدار الحوار عندما التقى الأسطول العثماني مع لالاند قائد الأسطول الفرنسي في الدَّرْدَنيل حتَّى يُدبّر خطة الهروب بنجاح، وأمَّا والده شريف آغا فهو الذي انتدب لإخبار مُحمَّد علي برغبة القبودان في

التَّعاون معه، ثُمَّ رجع إلى فوزي باشا ليقنعه بضرورة الذّهاب بالأسطول العثماني إلى الإسكندرية ليتناقش مع الباشا في كيفية التَّعاون بينهما، وفي أعقاب قدوم الأسطول واجتماع فوزي باشا ومُحَّمد علي، قال عثمان بك ريالة لهما: الآن قد أدَّيت مُهمتي!

ثبت أنَّه عندما وصلت أخبار قدوم الأسطول العثماني إلى الإسكندرية ذهب قناصل الدُّول الخمس الكبرى الأوروبيَّة لإقناع مُحمَّد علي بعدم التورُّط في هذه المغامرة، وضرورة ردّ الأسطول إلى السُّلطان، لكِنَّ الباشا أهمل تحذيرهم، واستقبل قادة الأسطول وضباطه استقبالًا رسميًّا في الإسكندرية، وعمل على اجتذابهم إليه بإعلامهم أنَّ قضيتهم واحدة، وأنَّه مُخلص للسُّلطان العثماني ومُطيع له.

استغلَّ مُحمَّد علي وجود الأسطول العثماني، واتَّخذه ورقة ضغط ضد الباب العالي لتحقيق مطالبه، والتي من أهمها عزل الصَّدر الأعظم خسرو باشا، وأن يمنح الحكم الوراثي فيما تحت يديه من ولايات مصر، والشام، وكريت، والجزيرة العربيَّة، ولم يكن الباشا ليتشدَّد في مطالبه بهذه الطريقة لولا وجود الأسطول العثماني الذي وعد بردّه بعد تحقيق مطالبه.

رفض مُحمَّد علي نصيحة مستشاره بوغوص بك الذي طلب منه ردّ الأسطول العثماني إلى السُّلطان حتَّى لا يتسبَّب ذلك في إثارة القوى الأوروبية الكبرى التي سوف تعمل على التدخَّل في شؤون الدولة العثمانية لتحقيق مصالحها.

تأكَّد أنَّ قدوم الأسطول العثماني كان سببًا رئيسًا في إثارة المسألة الشرقيَّة، واجتماع القوى الأوروبية الكُبرى للتدخُّل في شُؤون الدَّولة العُثمانيَّة للضغط، وحاولوا إقناع مُحمَّد علي لردّ الأسطول للسُّلطان، ووضع بالمرستون وزير خارجيَّة بريطانيا بعض الخطط باستخدام الوسائل القسرية ضد مُحمَّد علي لإعادة الأسطول العثماني.

اتَّضح أنَّه نتج عن بقاء الأسطول العثماني مُدَّة طويلة في الإسكندرية بعض المشكلات – على عكس توقعات الباشا – لأنَّه أصبح مُضطرًا إلى دفع رواتب الأسطول والإنفاق عليه، مِمَّا سبَّب ضغطًا على خزانته، وقد اتَّخذ الباشا بعض الخطوات لضمان ولاء الأسطول أو إذابته داخل الأسطول المصري بأن بدَّل ملابسهم

إلى الزيّ المصري – وهو ذاته الزي العثماني القديم –، ثُمَّ عمل على جعل نصف الضباط في قيادة الأسطول العثماني من ضباط الأسطول المصري والعكس.

ثبت أنَّ قادة الأسطول العثماني وطاقمه يسيرون في ركب مُحَّمد علي نتيجة المعلومات المغلوطة التي وصلتهم، ولكن عندما تبيَّن لهم زيفها بدأ يظهر بينهم بعض الاستياء، ثُمَّ تطوَّر إلى وجُود بعض الانشقاقات، وقيام الباشا بسجن بعض الضباط، ولمَّا بدت بوادر الحرب واقعة بين الباشا والقوى الأوروبية رفضوا الدُّخول في الحرب.

نتج عن تعنُّت محمد علي في إرجاع الأسطول تكوَّن تحالف من القوى الأوروبيَّة لإجباره على الخضوع لبنود معاهدة لندن ١٨٤٠م، ومن أهمها الخضوع للسلطان وإعادة الأسطول العثماني، والتي رفضها الباشا، فتدخَّل التَّحالف ضدَّه بالقوَّة، ولكِنَّه اضطر في نهاية الأمر إلى ردّ الأسطول العثماني إلى السُّلطان بعد أن بقي في الإسكندرية ثمانية عشر شهرًا. وقد عفا السُّلطان عن كل طاقم الأسطول باستثناء أحمد فوزي باشا، وعثمان بك ريالة، ووالده شريف آغا الكَتْخُدا، الذين بقوا في مصر، ومات القبودان في الإسكندرية، بينما تمكن الآخرون من الحصول على عفو السُّلطان في مرحلة لاحقة. ليسدل بذلك السّتار على حادثة شغلت القوى الأوروبية على مدار سنة ونصف، وانتهت بوضع حل للمسألة المصرية، حيث أصبحت ولاية مصر وراثية في مُحمَّد علي باشا وأولاده من بعده.

مُلحق رقم (١) سفن وجنود الأسطولين العثماني والمصري عام (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩) نقلاً عن: عمر طوسون، الجيش المصري البري والبحري: ١١٥-١١٨.

الأسطول العثماني		الأسطول المصري	
سفن الغليون أو القباق			
اسم السفينة	عدد جنودها	اسم السفينة	عدد جنودها
محمودية	١٣٧٢	المحلة الكبرى	١٠٣٤
مسعودية	١٣٢٣	المنصورة	١٠٣٤
فيض جهان	١٠٤٣	إسكندرية	١٠٣٤
فتحية	١٠٣٩	أبو قير	٧٣٦
ممدوحية	١٠٧٥	مصر	١٠٩٧
نصرتية	٩٠٦	عكا	١١٤٨
تعريفية	٩٧٢	حمص	١٠٣٤
توفيقية	٩٤٨	بيلان	٩٠٠
برج ظفر	٧٦٥	حلب	١٠٣٤
-	-	الفيوم	١٠٣٤
-	-	بني سويف	١٠٣٤
المجموع	**٩٤٤٣**	**المجموع**	**١١١١٩**
سفن الفرقطات			
اسم السَّفينة	**عدد جنودها**	**اسم السفينة**	**عدد جنودها**
نظامية	٦٧١	منوف	٥٥٨
جهادية	٦٧٥	البحيرة	٥١٠
نافيك	٥١٦	دمياط	٤٧٠
شهاب	٥٤٨	شير جهاد	٥١٠
خذ أمان	٦٦٢	رشيد	٥١٠
تافير	٥٣١	وابور النيل	١٥٢
مرات زفاؤود	٤٨٤	-	-
سوريا	٥٥٥	-	-
راسم ظفر	٥٣٤	-	-
قائد ظفر	٤٧٨	-	-
فضل الله	٣٨٦	-	-
المجموع	**٦٠٤٠**	**المجموع**	**٢٧١٠**
سفن القراويت			
اسم السفينة	**عدد جنودها**	**اسم السفينة**	**عدد جنودها**
مسير فرح	٢٢٧	جهاد بيكر	١٥٩
-	-	طنطا	١٨٣
-	-	جناح بحري	١٥٩
-	-	بلنك جهاد	١٥٩
-	-	دمنهور	٢٦٢
المجموع	**٢٧٧**	**المجموع**	**٩٢٢**

الأسطول العثماني	الأسطول المصري

سفن الغولتات

اسم السفينة	عدد جنودها	اسم السفينة	عدد جنودها
-	-	الصاعقة	١١٥
-	-	واشنطن	١١٥
-	-	شاهين دريا	١١٥
-	-	تمساح	٩٧
المجموع	**-**	**المجموع**	**٤٤٢**

سفن الأباريق

اسم السفينة	عدد جنودها	اسم السفينة	عدد جنودها
جاي فرح	١٣٩	سمند جهاد	٩٧
قوس ظفر	١٣١	شهياز جهاد	٩٧
بحر سفيد	٨٤	وابور جديك	٢٧
-	-	وابور تيولاك	١٧
المجموع	**٣٥٤**	**المجموع**	**٢٩٠**

الكواتر

اسم السفينة	عدد جنودها	اسم السفينة	عدد جنودها
-	-	كوتر رقم ١	٢٩
-	-	كوتر رقم ٢	٣١
المجموع -	**-**	**المجموع**	**٦٠**

مجموع جنود الأسطولين

الغليون/ القباق	٩٤٤٣	السفن الكبرى	١١١١٩
الفرقطات	٦٠٤٠	الفرقاطات	٢٧١٠
القراويت	٢٧٧	القراويت	٩٩٢
الغولتات	-	الغولتات	٤٤٢
الأباريق	٣٥٤	الأباريق	٢٩٠
الكواتر	-	الكواتر	٦٠
مجموع القوى العثمانية يضاف إلى ذلك آلايان مُعدَّان للنزول إلى البر ويبلغ عددهما	**١٦١١٤** **٥٠٠٠**	**مجموع القوى المصرية يضاف إليها عمال دار الصناعة المدرَّبون على البحرية ويبلغ عددهم**	**١٥٥٤٣** **٤٠٧٦**
المجموع الكلي لقوى الأسطول العثماني	**٢١١١٤**	**المجموع الكلي لقوى الأسطول المصري**	**١٩٦١٩**

المجموع العام لقوى الأسطولين العثماني والمصري ٤٠٧٣٣

مُلحق رقم (٢) أحمد فوزي يطلب العفو من السُّلطان عبد المجيد
بتاريخ (٥ جُمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ٢٤ يونية ١٨٥٧م)
نقلاً عن: الأرشيف العثماني، إرادة مصر الممتازة *I.MTZ (05). 10. 244. 1*

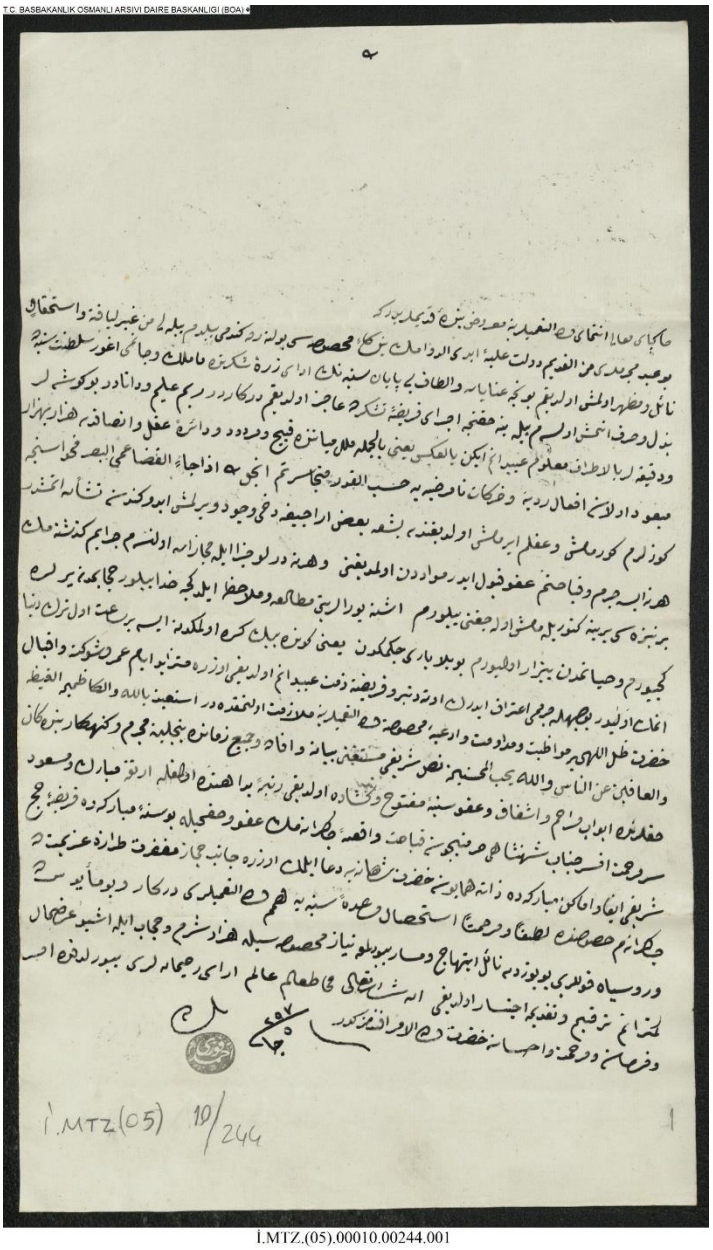
T.C. BASBAKANLIK OSMANLI ARSIVI DAIRE BASKANLIGI (BOA)

İ.MTZ.(05).00010.00244.001

ملحق رقم (٣) شفاعة مُحمَّد علي في أحمد فوزي مُرسلة إلى السُّلطان عبد المجيد بتاريخ (١٩ شعبان ١٢٥٨هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٨٤٢م)

نقلًا عن: الأرشيف العثماني، طوبقبوسراي *TSMA.E.0693. 10*

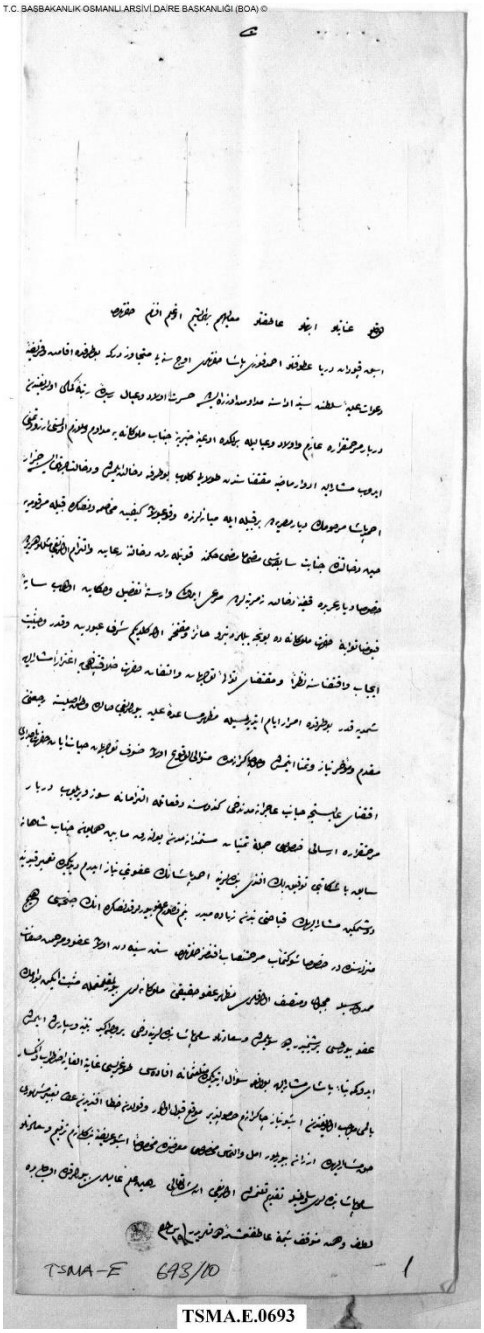
T.C. BAŞBAKANLIK OSMANLI ARŞİVİ DAİRE BAŞKANLIĞI (BOA) ©

TSMA.E.0693

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الوثائق.

- الوثائق غير المنشورة.

• الأرشيف العثماني

١. ***I.MTZ*** *(05).* 10. 244. 1 أحمد فوزي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (٥ جُمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ٢٤ يونية ١٨٥٧م).

٢. ***I.MTZ*** *(05).* 10. 244. 2 عثمان بك إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (٧ جُمادى الأولى ١٢٥٧هـ/ ٢٦ يونية ١٨٥٧م).

٣. ***I.MTZ*** *(05).* 10. 244. 3 رفض العفو السلطاني عن فوزي باشا، بدون تاريخ، ويبدو أنَّها في الشَّهر ذاته المذكور في الوثائق السَّابقة.

٤. ***I.MTZ*** *(05).* 10. 242. 3 أحمد فوزي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (١٠ شوَّال ١٢٥٧هـ/ ٢٤ نوفمبر ١٨٤١م).

٥. ***TSMA.E.***0693. 10 مُحمَّد علي إلى السُّلطان عبد المجيد، بتاريخ (١٩ شعبان ١٢٥٨هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٨٤٢م).

٦. ***I.DH.*** 73. 3631 مُصادرة نياشين فوزي باشا، بدون تاريخ.

٧. ***I.MTZ*** *(05).* 11. 278. 2 إعلام وفاة فوزي باشا وأمر بحصر تركته، بدون تاريخ.

- الوثائق المنشورة.

• الوثائق العربيَّة.

١. أسد رُسْتم، **المحفوظات الملكِيَّة: بيان بوثائق الشَّام وما يساعد على فَهْمها ويُوضِّح مقاصد مُحمَّد علي الكبير**، مج. ٤ (بيروت: المطبعة الأميركيَّة، ط ١، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م).

٢. **الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر مُحمَّد علي**، ج. ٢، تحقيق: عماد أبو غازي وآخرين، إشراف: رءُوف عبَّاس حامد (القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميَّة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

- الوثائق الإنجليزيَّة والفرنسيَّة.

١. ***Correspondence Relative to the Affairs of the Levant, vol.*** 1 ***(London: Printed by T. R. Harrison, St. Martin's Lane,*** 1841***).***

٢. ***Édouard Driault, L'Egypte et l'Europe, la crise de 1839-1841 Correspondance des consuls de France et instructions du gouvernement recueillies et publiées avec une notice bibliographique, une introduction et des commentaires historiques. Tome premier. Nézib, le destin de l'Empire ottoman, avril-octobre 1839 (Le Caire: Société royale de géographie d'Egypte,*** 1930***).***

ثانيًا- المخطوطات.

١. حسن قاسم، **أعلام تاريخ مصر في القرن الثَّالث عشر الهجري: تكملة تاريخ الجبرتي عجائب الآثار**، ج. ١ (الرياض: مركز الملك فيصل، مخطوط تحت رَقْم «١٦٧٤»، تاريخ نسخه ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م).

ثالثًا- المصادر المطبوعة.

- المصادر العربيَّة

١. إسماعيل سرهنك، **حقائق الأخبار عن دول البِحار**، ج. ٢ (مصر: المطبعة الأميرية ببولاق، ط ١، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م).

٢. أمين سامي، **تقويم النيل**، ج. ٢ (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ط ١، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م).

٣. رِزق الله مَنقريوس الصَّدفي، **تاريخُ دول الإسلام**، ج. ٣ (القاهرة: مطبعة دارُ الهلال، ط ١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).

٤. مُحمَّد عارف باشا، **عِبر البشر في القرن الثَّالث عشر**، ج.١ (القاهرة: د. ن، د. ط، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م).

٥. ميخائيل شاروبيم، **الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث**، ج. ٤ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

- **المصادر التركيَّة العثمانيَّة**

١. أحمد لطفي، **تاريخ دولت عليه عثمانيه**، جلد سادس (در سعادت: محمود بك مطبعه سي، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م).
٢. عبد الرَّحمن شرف، **تاريخ مصاحبه لرى** (إستانبول، مطبعه عامره، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م).
٣. كامل باشا، **تاريخ سياسئ دولت عليَّة عُثمانيَّة**، جلد ثالث (إستانبول: مطبعة أحمد إحسان، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).
٤. مُحمَّد ثُريا، **سجل عثماني ياخود تذكرۀ مشاهير عثمانيه**، ج. ٣ (إستانبول: دار الطباعه العامره، أولنمشدر، ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م).
٥. مصطفى نوري باشا، **نتايج الوقوعات**، جلد رابع (إستانبول: دار الطباعة العامرة، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٧م).

- **المصادر الأجنبيَّة.**

١. ***M, GUIZOT, MÉMOIRES POUR SERVIR A L'HISTOIRE DE MON TEMPS, TOME QUATRIÈME (BALE ET GENÈVE, H. GEORG,*** 1861***).***
٢. ***E. de Cadalvène, E. Barrault, Deux Années de l'Histoire d'Orient 1839-1840, tome. II (Paris: Delloye, Libraire - Éditeur,*** 1840***).***

رابعًا- المراجع العربيَّة والأجنبيَّة والمُترجمة.

- **المراجع العربيَّة.**

١. أ. ب كلوت بك، **لمحة عامَّة إلى مصر**، ترجمة: مُحمَّد مسعود (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميَّة، ط ٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٢. أحمد فؤاد متولي، **الخطة العسكريَّة التي وضعتها الدَّوْلة العثمانيَّة لاسترداد مصر من قبضة محمد علي: تقرير مخطوط بالتركية**، (القاهرة: دارُ الزَّهراء للنَّشر، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٣. إميل خوري وعادل إسماعيل، **السِّياسة الدُّوليَّة في الشَّرق العربي**، ج. ٢ (بيروت: مطبعة صادر، ط ١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

٤. جميل خانكي، **تاريخ البحرية المصرية** (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط ١، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م).

٥. .....، **أُمراء البحار في الأسطول المصري في النصف الأوَّل من القرن التَّاسع عشر** (القاهرة: مُؤسَّسة هنداوي، ط ٢، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م).

٦. حسن أحمد إبراهيم، **رحلة مُحمَّد علي باشا إلى السُّودان ١٥ أكتوبر ١٨٣٨-١٤ مارس ١٨٣٩م: التقرير الرَّسمي** (الخُرطوم: دارُ آريثيريا للنَّشر والتَّوزيع، ط ٣، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م).

٧. داود بركات، **البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشَّام ١٨٣٢م** (القاهرة: المطبعة الرَّحْمانيَّة، ط ١، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

٨. درويش النخيلي، **السُّفن الإسلاميَّة على حُرُوف المُعْجم** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٩. سليمان أبو العز، **إبراهيم باشا في سوريا** (بيروت: المطبعة العلميَّة، ط ١، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م).

١٠. عبد الرَّحمن الرَّافعي، **عصر مُحمَّد علي** (القاهرة: دارُ المعارف، ط ٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

١١. عبد الرَّحمن زكي، **التاريخ الحربي لعصر مُحمَّد علي الكبير** (القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م).

١٢. عبد المُنعم إبراهيم الجميعي، **عصر مُحمَّد علي: دراسةٌ وثائقيَّةٌ** (القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، تاريخ المصريين ٢٤٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٣. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، **من انتصارات الجيش المصري معركة نصيبين (نزيب) ربيع الثاني ١٢٥٥هـ/ يونيو ١٨٣٩م: دراسات في وثائق عابدين** (القاهرة: عَيْن للدراسات والبحوث الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

١٤. علي عفيفي علي غازي، **الصِّراع المصري العثماني والتَّوازن الدُّولي في ثلاثينيات القرن التَّاسع عشر** (دبي: قنديل للطباعة والنَّشر، ط ١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

١٥. عمر طوسون، **صفحة من تاريخ مصر في عهد مُحمَّد علي: الجيش المصري البري والبحري** (القاهرة: مطبعة دارُ الكتب المصريَّة ط ١، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م).

١٦. عُمر عبد العزيز عُمر، **مُحاضرات في تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة** (الإسكندريَّة: دارُ المعرفة الجامعيَّة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

١٧. فاروق عثمان أباظة، **عدن والسياسة البريطانيَّة في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م** (القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

١٨. مُحمَّد عبد الستار البدري، **المواجهة المصريَّة الأوروبيَّة في عهد مُحمَّد علي**، تقديم: مصطفى الفقي (القاهرة: دارُ الشُّروق، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

١٩. مُحمَّد عبد الله فوزي الجنايني، **القائد إبراهيم باشا والمشروع النهضوي المصري ١٨٠٧-١٨٤٨م**، تقديم: لطيفة مُحمَّد سالم (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

٢٠. مُحمَّد فريد، **تاريخ الدَّوْلة العلِيَّة العثمانيَّة**، تحقيق: إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، ط ١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٢١. يُوسف حُسين عُمر، **سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانيَّة ١٨٣٩-١٩٠٩م** (إسطنبول: مركز التَّاريخ العربي للنَّشر، ط ١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م).

- **المراجع المُترجمة.**

١. أنيل ألكسندرو فنادولينا، **الإمبراطوريَّة العثمانيَّة وعَلاقاتها الدُّوليَّة: في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التَّاسع عشر**، ترجمة: أنور مُحمَّد إبراهيم (القاهرة: المجلس الأعلى للثَّقافة، المشروع القومي للتَّرجمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

٢. رينيه قطاوي بك وجورج قطاوي، **مُحمَّد علي وأوروبا**، نقله عن اللُّغة الفرنسيَّة: ألفريد يلوز، المقدمة: فرنسوا شارل رو (القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م).

٣. شناسي آلتونداغ، **عصيان مُحمَّد علي باشا: المسألة المصريَّة ١٨٣١-١٨٤١م**، ترجمهُ عن التركية: مُحمَّد عبد العاطي مُحمَّد (القاهرة: نماء للبحوث والدِّراسات، ط ١، ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م).

٤. كارولين جوتييه كورخان، **العَلاقات المِصريَّة الفَرنسيَّة في عهد مُحمَّد علي ١٨٠٥-١٨٤٩م**، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهَّاب، مراجعة وتقديم: مجدي عبد الحافظ (القاهرة: المركز القومي للتَّرجمة، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

٥. مُحمَّد صبري السُّوربوني، **الإمبراطوريَّة المصريَّة في عهد مُحمَّد علي والمسألة الشَّرقيَّة ١٨١١-١٨٤٩م**، ج. ٢، ترجمة: ناجي رمضان عطيَّة، مُراجعة: أحمد زكريا الشِّلق (القاهرة: المركز القومي لترجمة، ط ١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م).

٦. هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد مُحمَّد علي مؤسّس مصر الحديثة**، تعريب: أحمد مُحمَّد عبد الخالق، وعلي أحمد شكري (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

٧. يلماز أوزتونا، **تاريخ الدَّوْلة العثمانيَّة**، مج. ٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري (إسطنبول: مؤسَّسة فيصل للتَّمْويل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- المراجع الأجنبيَّة.

١. ***Andrew Archibald Paton, A History of the Egyptian Revolution: From the Period of the Mamelukes to the death of Mohammed Ali, vol II (London: Trübner & Co.,*** 1863***).***

٢. ***Prince de Joinville, Memoirs of the Prince de Joinville, Translated from the French By. Lady Mary Loyd (London: William Heinemann,*** 1895***).***

٣. ***John Drummond Hay, A Memoir of Sir John Drummond Hay: Sometime Minister at the Court Morocco Based on his Journals and Correspondence (London: Horace Hart, Printer to the University of Oxford,*** 1896***).***

٤. ***John Richard Hall, England and the Orleans Monarchy (London: Smith, Elder & Co.,*** 1912***).***

٥. ***Charles Napier, The War in Syria, vol. I (London: Harrison and Co., Printers,*** 1842***).***

خامسًا- المذكرات.

١. **مذكرات نُوبار باشا**، مُقدِّمة ومُلاحظات: ميريت بُطرس غالي، ترجمة: جارو رُوبير طبقيان، مراجعة: إلهام ذُهني، تقديم ودراسة وتعليق: لطيفة مُحمَّد سالم (القاهرة: دار الشروق، ط ١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

سادسًا- الرَّسائل العلميَّة.

١. إياد تركان إبراهيم الدليمي، **اللُّورد هِنري جُون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجيَّة البريطانيَّة ١٨٣٠-١٨٦٥م** (بغداد: رسالة دكتوراة، كلية التربيَّة، الجامعة المُستنصريَّة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

٢. سُهير نبيل كمال، **سياسة مُحمَّد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها ١٨١٦-١٨٤٠م** (الموصل: رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

سابعًا- الدَّوريات العربيَّة والأجنبيَّة.

- الدَّوريات العربيَّة.

١. راجية إسماعيل أبو زيد، «خطة مُحمَّد علي للاستيلاء على العراق وموقف بريطانيا منه ١٨٣١-١٨٤٠م» (القاهرة: جامعة عين شمس، **مجلَّة بحوث الشَّرق الأوسط**، ع. ٣٣، ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ سبتمبر ٢٠١٣م).

٢. سلوى إبراهيم مُحمَّد العطَّار، «الأميرة فاطمة الزَّهراء سفيرة مُحمَّد علي وعبَّاس الأوَّل بالآستانة: دراسةٌ وثائقيَّة» (القاهرة: جامعة عين شمس، **حوليات آداب عين شمس**، مج. ٣٤، جُمادى الآخرة- شعبان ١٤٢٧هـ/ يوليو- سبتمبر ٢٠٠٦م).

٣. نيفين مصطفى حسن سعد، «موقف بريطانيا من سياسة مُحمَّد علي التَّوسُّعيَّة في اليمن ١٨٣٢-١٨٤٠م» (المنصورة: جامعة المنصورة، **مجلَّة كلية الآداب**، ع. ٦٢، ربيع الآخر ١٤٣٩هـ/ يناير ٢٠١٨م).

- الدَّوريات الأجنبيَّة.

١. ***Frederick Stanley Rodkey, "Colonel Campbell's Report on Egypt in*** 1840***, with Lord Palmerston's Comments", The Cambridge Historical Journal, Vol.*** 3***, No.*** 1 ***(***1929***).***

٢. ……., ***"Lord Palmerston and the Rejuvenation of Turkey,*** 1830-41***": Part II,*** 1839-41***, University of Chicago, The Journal of Modern History, Vol.*** 2***, No.*** 2 ***(Jun.*** 1930***).***